من وصايا العلماء

لطلبة العلم

مع صور لهمة السلف في طلب العلم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦م

جمعية إحياء التراث الإسلامي

لجنة الدعوة والإرشاد - قرطبة

مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع

الكويت، حولي، شارع المثنى، مجمع البدري

ت: ٢٢٦٥٧٨٠٦، ف: ٢٢٦١٢٠٠٤، الخط الساخن: ٩٤٤٠٥٥٥٩

فرع حولي: شارع المثنى: ٢٢٦١٥٠٤٦، فرع المباركية: ٢٢٤٩٠٦٠٤

فرع الفحيحيل: ٢٥٤٥٦٠٦٩، فرع المصاحف: ٢٢٦٢٩٠٧٨

ص.ب: ١٠٧٥، حولي، الرمز البريدي: ٣٢٠١١ الكويت

المملكة العربية السعودية: الرياض: ٠٥٥٧٧٦٥١٣٨

مِنْ وَصَايَا العُلَمَاءِ

لِطَلَبَةِ العِلْمِ

مَعَ صُوَرٍ لِهِمَّةِ السَّلَفِ فِي طَلَبِ العِلْمِ

تأليف

د. عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ السَّدْحَان

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمدُ لله الذي علّمَ بالقلم، علّم الإنسانَ ما لم يَعلم، خلقَ الإنسانَ، علّمَهُ البيان، سَخَّر النَّاسَ بَعضَهُم لبعض، ورفعَ أهلَ الإيمان الذين أوتوا العلم درجاتٍ؛ ذلك لأنّ شرفَ العلم أرفعُ مِن شَرَف الحسَب والنَّسَب، ولذا لم يأمُر اللهُ تعالى نبيَّهُ ﷺ أن يَستزيدَ مِن شيءٍ إلّا منه. فقال ﷻ مخاطبًا إيَّاه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمًا﴾ [طه: ١١٤].

فبالعلم شَرُفَ أناسٌ وُضَعاء، وبالجهل وُضِع أناسٌ شُرفاء... وبعدُ:

فهذا جزءٌ لطيفٌ جمعتُ فيه نُبذًا تتعلّق بالعلم، وجعلتُه قسمينِ: مُقَدّمات ونتائج:

فالمقدّمات: وصايا من العُلماء لطلاب العلم في حَثِّهم على طلبه والصبر على ذلك ومجاهدة النُّفوس في سبيل التزوُّد من العلم(١).

والنتائج: صورٌ من الهمم العالية والعزائم النَّافذة من صبر أهل العلم، وكيف تهذّبت نفوسُهم في سبيل التحصيل العلمي، حتَّى أصبحوا أقمارًا تُضيءُ للنَّاس ـ بإذن الله تعالى ـ ظُلمات قُلوبهم ودُروبهم.

---

(١) وبعض تلك الآثار تتضمن في معناها نوع وصية لطالب العلم وإن لم يكن لفظها فيه سياق الوصية أو الأمر بلزوم المذكور في الخبر.

ومن عظيم فضل الله تعالى على أهل العلم جريانُ أجُورهم مثلُ أجور المنتفعينَ بعلمهم عليهم، لا يَنقُصُ مِن أجور المنتفعينَ شيءٌ.

وبعد هذا أقول:

إنَّ من نعمة الله تعالى على بعض شباب المسلمينَ حِرصَهُم على العلم سماعًا وقراءةً ومُدارَسةً، تَعرِفُ ذلك في نبراتِ أصواتهم، وصادق أسئلتهم، وتحسُّرهم على عدم حُضورهم حلقاتِ مَن ماتَ مِن كبار أهل العلم.

وهذا الشُّعُور من أولئك الشباب عاجلُ بُشرَى لهم وللمسلمين، فالظنُّ بالله تعالى ثمَّ بعزيمة أولئك الشباب أن يَبعث اللهُ منهم عُلماءَ راسخينَ دُعاةً إلى التوحيد والسُّنَّة بأقلامهم وأقوالهم وأفعالهم، فيجعلهم الله تعالى ـ بفضله ـ مبارَكينَ أينما كانوا، في بُيوتهم، ومساجدهم، وأسواقهم، ومجتمعاتهم... كما جعلَ أسلافهُم من أئمَّة السُّنَّة والتوحيد الذين كانوا بحقٍّ مدارسَ ـ بل جامعاتٍ ـ للعلم والأخلاق في حِلِّهم وتَرْحَالهم. رحم اللهُ تعالى أمواتَهُم وبارك في أحيائهم، آمين.

وقبل الختام ـ وبعد شكر الله تعالى ـ أشكرُ أخي الشيخَ البحَّاثة عبدالعزيز بن عبدالكريم الدخيل على معونته لي من خلال الخدمة الإلكترونية.

كما أشكر الشيخ الدكتور أحمد بن عبدالله الدويش على مراجعته اللغوية.

والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات

د. عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله السدحان

١٤٣٢/٢/٢٥هـ

مِنْ وَصَايَا العُلَمَاءِ

لِطَلَبَةِ العِلْمِ

تأليف

د. عبدِ العزيزِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ السَّدحان

وصايا بعض العلماء

۞ **قال النووي:** «ويُحَسِّن خُلُقَه مع جُلَسائه، ويُوَقِّر فاضِلَهم بعلمٍ أو سِنّ أو شَرَف أو صلاح ونحو ذلك، ويتلطّف بالباقينَ،... ويَنبغي أن يَصُونَ يَدَيْهِ عنِ العَبَث، وعَينيهِ عن تفريق النَّظَر بلا حاجةٍ، **ويلتفت إلى الحاضرين التفاتا قصدا بحسب الحاجة للخطاب، ويجلس في موضع يبرز فيه وجهه لكلهم**»[١].

۞ **وقال أيضاً:** «ولا يَرفع صوتَهُ زيادةً على الحاجة، ولا يَخْفِضه خفضًا يَمنعُ بعضَهُم كمالَ فهمه، ويَصون مجلسَهُ مِن اللَّغَط، والحاضرينَ عن سُوءِ الأدب في المباحَثَة، وإذا ظَهَرَ مِن أحدِهم شيءٌ من مبادئ ذلك تَلَطَّفَ في دفعه قبل انتشاره، ويُذَكِّرُهم أنَّ اجتماعنا ينبغي أن يكون لله تعالى، فلا يَليق بنا المنافسة والمشاحَنة، بل **شأننا** الرِّفق **والصفاء**، واستفادةُ بعضِنَا من بعضٍ، واجتماع قلوبنا على ظهور الحقِّ وحُصُول الفائدة. وإذا سألَ سائلٌ عن أعجوبةٍ فلا يَسخَرُونَ منه... ولا يَحتقِرن فائدةً يراها أو يَسمعُها في أيِّ فنٍّ كانت، بل يُبادِرُ إلى كتابتها، ثمَّ يواظب على مطالعة ما كَتَبه»[٢].

۞ قال أبو زكريا العنبري: «علمٌ بلا أدب كنارٍ بلا حَطَب، وأدبٌ

(١) المجموع للنووي (٥٨/١).

(٢) المجموع (٥٩/١ ـ ٦٦).

بلا علم كرُوحٍ بلا جِسم»[١].

۞ وقال السَّمعاني: سمعتُ ابنَ أبي الخناجر يقول: كُنَّا في مجلسِ يَزيدَ بن هارون ببغداد والنَّاسُ قد اجتمعوا فيه، فمرَّ المُتوكِّلُ مع جيشه، فنظرَ إلى مجلس يَزيدَ بن هارون، فلمَّا نظرَ إليه قال: «هذا المُلْك!»[٢].

۞ قال أشعث بن شعبة المصيصي: «لمَّا قدم هارون الرَّقَّة أشرفت أمُّ ولدٍ لهارونَ مِن قصرٍ من خشب فرأت الغبرةَ قد ارتفعت والمقالَ قد تقطَّعَ وانجفل النَّاسُ، فقالت: ما هذا؟ قالوا: عالِمٌ من خُرَاسانَ يُقال له عبدُالله بنُ المبارك. فقالت: هذا واللهِ المُلك لا مُلك هارون الذي لا يَحمَدُه النَّاسُ إلّا بالسَّوط والخشَب!»[٣].

۞ وكان عُمَر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «إنَّه ليُعجِبُني أن أرى القارئَ النَّظيف»[٤].

۞ قال أبو العباس محمَّد بن يزيد المُبرِّد: «مَن أطالَ الحديثَ وأكثرَ القولَ فقد عرَّضَ أصحابَهُ للملال وسوء الاستماع، ولَأَن يَدَعَ مِن حديثه فَضلةً يُعادُ إليها أصلحُ مِن أن يفضل عنهُ ما يَلزَمُ الطالبَ استماعُه من غير رغبةٍ فيه ولا نشاطٍ له»[٥].

۞ قال الوليد بن مزيد البيروتي: سمعت أبي يقول: «المستمعُ أسرَعُ

(١) أدب الإملاء والاستملاء للسَّمعاني (٢).
(٢) أدب الإملاء والاستملاء (٢٢).
(٣) أدب الإملاء والاستملاء (٢٢).
(٤) أدب الإملاء والاستملاء (٢٧).
(٥) أدب الإملاء والاستملاء (٦٦).

مَلالةً مِن المتكلِّم»[١].

❁ قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «رَوِّحُوا القلوبَ وابتغوا لها طُرَفَ الحكمة؛ فإنَّها تَمَلُّ كما تملّ الأبدان»[٢].

❁ كان عُمَر رضي الله عنه يُحَدِّث النَّاس فإذا رآهُم قد تثاءبُوا ومَلّوا أخذَ بهم في غِراس الشَّجَر[٣].

❁ قال الإمام الآجُرّي رحمه الله: «.. فمِن صِفَته لإرادته في طلب العلم: أن يَعلمَ أنَّ الله عز وجل فَرَضَ عليه عبادتَه، والعبادةُ لا تكون إلّا بعلمٍ، وعلمَ أنّ العلمَ فريضةٌ عليه، وعلمَ أنّ المؤمن لا يَحسُنُ به الجهلُ، فطلبَ العلم لينفيَ عن نفسه الجهلَ، وليَعبُدَ اللهَ كما أمرَهُ، ليس كما تَهوَى نفسُه؛ فكان هذا مُرادَهُ في السَّعي في طلب العلم، مُعتقدًا للإخلاص في سعيه، لا يَرى لنفسه الفضلَ في سعيه، بل يرى لله عز وجل الفضلَ عليه، إذ وفّقَهُ لطلب عِلمٍ ما يَعبُدُه به من أداءِ فرائضه واجتناب محارمه»[٤].

❁ وقال الإمام الآجُرِّي رحمه الله: «فإذا أحبَّ مجالسةَ العُلماء جالسَهُم بأدبٍ وتواضعٍ في نفسه، وخَفَضَ صَوتَهُ عن صوتهم، وسألهم بخضوع، ويكون أكثرُ سؤاله عن عِلمٍ ما تعبَّدَهُ اللهُ به، ويُخبِرُهم أنهُ فقيرٌ إلى علم ما يَسألُ عنه؛ فإذا استفادَ منهم علمًا أعلمهُم: أنِّي قد أفدتُ خيرًا كثيرًا، ثمَّ شَكَرَهُم على ذلك، وإن غَضِبُوا عليه لم يَغضَبْ عليهم، ونَظَرَ إلى السَّبَب

---

(١) أدب الإملاء والاستملاء (٦٨).

(٢) أدب الإملاء والاستملاء (٦٩).

(٣) أدب الإملاء والاستملاء (٦٩).

(٤) أخلاق العلماء للآجري (٤٣).

الذي مِن أجله غَضِبُوا عليه فرَجَعَ عنهُ، واعتذرَ إليهم، لا يُضْجِرُهم في السُّؤال، رفيقٌ في جميع أمورِه، لا يُناظِرُهم مُناظرةً يُريهم أنِّي أعلمُ منكم! وإنَّما همَّتُه البحثُ لطلب الفائدةِ منهم، مع حُسن التلطّف لهم، لا يجادلُ العُلَماءَ، ولا يُمَارِي السُّفَهاء، يُحسِنُ التَّأنِّي للعلماءِ مع توقيره لهم، حتَّى يتعلّم ما يزدادُ به عند الله فهمًا في دينه»[(١)].

۞ قال الإمام الآجرِّي رحمه الله: «فإذا نَشَر اللهُ لهُ الذِّكر عند المؤمنينَ أنه من أهل العلم، واحتاجَ النَّاسُ إلى ما عندَهُ، ألزمَ نفسَه التَّواضُعَ للعالِم وغيرِ العالِم؛ فأمَّا تواضُعُه لمن هو مِثلُه في العلم فإنَّها محبَّةٌ تَنبُت لهُ في قلوبهم، وأحبوا قربه وإذا غاب عنهم حنَّت إليه قلوبهم، وأمَّا تواضُعُه للعلماءِ فواجبٌ عليه، إذ أراهُ العلمُ ذلك، وأمَّا تواضُعُه لمن هو دُونَهُ في العلم فشَرَفُ العلم لهُ عند الله وعند أولي الألباب، وكان مِن صفته في علمه وصِدقه وحُسن إرادته يريدُ اللهَ بعلمه»[(٢)].

۞ قال الخطيبُ البغدادي رحمه الله: «ثمَّ إنِّي مُوصيكَ يا طالبَ العلم بإخلاصِ النِّية في طلبه، وإجهادِ النَّفس على العمل بمُوجَبه؛ فإنَّ العلم شجرةٌ والعمل ثمرةٌ، وليس يُعَدُّ عالِمًا مَن لم يَكُن بعلمه عاملًا. وقيل: العلمُ والدٌ والعملُ مَولودٌ، والعلمُ مع العمل، والرِّواية مع الدِّراية؛ فلا تَأنَسْ بالعمل ما دُمْتَ مُستوحِشًا مِنَ العلم، ولا تَأنس بالعلم ما كُنتَ مُقَصِّرًا في العمل، ولكن اجمعْ بينهُما وإن قَلَّ نَصيبُكَ منهما، وما شيءٌ أضعفَ مِن عالمٍ تَركَ النَّاسُ عِلمَهُ لفسادِ طريقتِه، وجاهلٍ أَخَذَ النَّاسُ بجهلهِ لنَظَرِهم إلى عبادته»[(٣)].

---

(١) أخلاق العلماء (٤٥).

(٢) أخلاق العلماء (٤٦).

(٣) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (١٤).

❁ وقال أيضًا: «وهل أدركَ مِنَ السَّلَف الماضينَ الدَّرجاتِ العُلَى إلّا بإخلاصِ المُعتَقَد، والعملِ الصَّالح، والزُّهدِ الغالِب في كُلِّ ما راقَ مِنَ الدُّنيا؟»[(١)].

❁ وقال مَعروفُ بنُ فيروزٍ الكَرْخِي رحمه الله: «إذا أراد اللهُ بعبدٍ خيرًا فَتحَ لهُ بابَ العمل وأغلقَ عنهُ بابَ الجدَل، وإذا أراد اللهُ بعبدٍ شرًّا فتحَ لهُ بابَ الجدل وأغلقَ عنهُ بابَ العمل»[(٢)].

❁ وسُئل أحمدُ بنُ حنبل رحمه الله عن رجُلٍ يَكتُب الحديثَ فيُكثر، قال: «ينبغي أن يُكثِرَ العملَ به على قَدْرِ زيادته في الطلَب». ثمَّ قال: «سبيلُ العلم مِثلُ سبيل المال، إنَّ المالَ إذا زادَ زادت زكاتُه»[(٣)].

❁ قال إبراهيمُ بنُ إسماعيلَ بن مجمع: «كنَّا نَستعينُ على حفظ الحديثِ بالعمل به»[(٤)].

❁ قال الزُّهري رحمه الله: «إنَّ الرَّجُل لَيطلُب وقلبُه شِعبٌ مِنَ الشِّعاب، ثمَّ لا يَلبَثُ أن يَصيرَ واديًا لا يُوضَعُ فيه شيءٌ إلّا التهَمَهُ».

قال العسكري: يُريدُ أنّ أوّلَ الحفظ شديدٌ يَشُقُّ على الإنسانِ، ثمَّ إذا اعتادَ سَهُل. ومِصداقُ ذلك ما أخبرنا به الشيخُ أبو أحمدَ الصولي عن الحارث بن أسامةَ قال: «كان العلماءُ يقولونَ: كُلُّ وِعاءٍ أفرغتَ فيه شيئًا فإنَّه يَضيقُ، إلّا القلبَ فإنَّه كُلّما أفرغ فيه اتَّسع»[(٥)].

---

(١) اقتضاء العلم العمل (١٥ ـ ١٦).
(٢) اقتضاء العلم العمل (٨٠).
(٣) اقتضاء العلم العمل (٨٩ ـ ٩٠).
(٤) اقتضاء العلم العمل (٩٠).
(٥) الحثّ على طلب العلم للعسكري (٧١).

۞ قال الشيخُ ابن جبرين رحمه الله: «الغالبُ أنّ مَن حَفِظَ سريعًا من دُونِ تَكرارٍ فإنَّهُ يَنسَى سريعًا، ولقد كانَ كثيرٌ مِنَ الطلّاب قديمًا يُكرِّسُونَ جُهودَهُم في الحفظ، حتَّى كان أحدُهم يَقرأ الحديثَ أو البابَ مائةَ مرَّةٍ حتَّى يَرسَخَ في ذاكرته، ثمَّ بعد ذلك يُكرِّرُون ما حَفِظوه»[١].

۞ قال ابن حزم رحمه الله: «وبالجملة فالجهل لا خيرَ فيه، والعلمُ إذا لم يَستعملهُ صاحبُه فهو أسوَأُ من الجاهل، وعلمُه حُجَّةٌ زائدةٌ عليه»[٢].

۞ قال ابن حزم رحمه الله: «واعلم أنّ مِن فَضل العلم والإكباب على طلبه والعمل بمُوجَبه: أنك تَحصُل على طردِ الهمِّ الذي هو الغرضُ الجامعُ لجميع المقاصد مِن كُلِّ قاصدٍ أوّلها عن آخرها، وبالله تعالى التوفيق، وهو حسبُنا ونعمَ الوكيل لا إله إلّا هو»[٣].

۞ قال ابن حزم رحمه الله: «لو لم يَكُن من فضل العلم إلّا أنّ الجُهَّال يَهابُونَك ويُجِلّونك وأنّ العُلماء يُحبُّونك ويُكرمونك؛ لكان ذلك سببًا إلى وجوب طلبه، فكيف بسائرِ فضائله في الدُّنيا والآخرة؟ ولو لم يَكُن من نقص الجهل إلّا أنَّ صاحبَهُ يَحسُد العُلَماءَ ويَغبِطُ نُظَراءَهُ مِنَ الجهَّال لكانَ ذلك سببًا إلى وُجوب الفِرار عنه، فكيف بسائرِ رَذائله في الدُّنيا والآخرة؟»[٤].

۞ قال الإمامُ ابنُ رَجَب رحمه الله: «فيجب أن يَعتقِدَ أنه ليس كُلّ مَن كَثُرَ

(١) كيف تطلب العلم؟ حوار مع ابن جبرين (٣١).
(٢) التقريب لحدِّ المنطق لابن حزم (١٨٠).
(٣) التقريب لحدِّ المنطق (١٨٥).
(٤) الأخلاق والسِّيَر في مداواة النفوس لابن حزم (٢١).

بَسطُهُ للقول وكلامُه في العلم كانَ أعلمَ ممَّن ليس كذلك، وقد ابتُلينا بجَهَلةٍ مِنَ النَّاس يَعتقدُونَ في بعض مَن توسَّعَ في القول مِنَ المتأخِّرينَ أنَّهُ أعلمُ ممَّن تقدَّم؛ فمنهم مَن يَظُنُّ في شخصٍ أنه أعلمُ مِن كُلِّ مَن تقدَّم مِنَ الصَّحابةِ ومَن بَعدَهُم لكثرةِ بيانه ومَقَالِه! ومنهم مَن يقول: هُو أعلمُ مِنَ الفقهاءِ المشهورينَ المتبوعينَ! وهذا يَلزَمُ منه ما قبلَه؛ لأنّ هؤلاء الفقهاءَ المشهورينَ المتبوعينَ أكثرُ قولًا ممَّن كان قَبلَهُم، فإذا كان مَن بعدهُم أعلمُ منهم لاتِّساع قوله كان أعلمَ ممَّن كان أقلَّ منهُم قولًا بطريقِ الأَوْلَى، كالثوريِّ، والأوزاعيِّ، واللّيث، وابنِ المبارك، وطبقتهم، وممَّن قبلَهُم مِنَ التَّابعينَ والصحابةِ أيضًا؛ فإنّ هؤلاء كُلَّهم أقلُّ كلامًا ممَّن جاءَ بعدهُم، وهذا تَنقُّصٌ عظيمٌ بالسَّلَف الصَّالح، وإساءةُ ظَنٍّ بهم، ونِسبتُه لهم إلى الجهلِ وقصورِ العلم، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلّا بالله، ولقد صدقَ ابنُ مسعودٍ ﵁ في قوله في الصَّحابة: إنَّهم أبرُّ الأمَّة قلوبًا، وأعمقُها عُلومًا، وأقلّها تكلّفًا. ورُوِيَ نحوُه عن ابن عُمَر أيضًا، وفي هذا إشارةٌ إلى أنّ مَن بعدَهُم أقلُّ عُلومًا وأكثرُ تَكَلُّفًا»[1].

۞ قال الإمامُ ابنُ رَجَب ﵀: «فالعلم النَّافِعُ من هذه العلوم كُلِّها ضَبطُ نُصوص الكتاب والسُّنَّة، وفهمُ معانيها، والتقيُّدُ في ذلك بالمأثور عنِ الصَّحابة والتابعينَ وتابعيهم في مَعاني القرآنِ والحديث، وفيما وَرَدَ عنهُم مِنَ الكلام في مسائل الحلالِ والحرام، والزُّهدِ والرَّقائق، والمعارف، وغيرِ ذلك، والاجتهادُ على تمييز صحيحه من سَقيمه أوَّلًا، ثمَّ الاجتهادُ على الوُقوف في معانيه وتفهُّمِه ثانيًا. وفي ذلك كفايةٌ لمن عَقَل، وشُغل لِمَن

(١) فضل علم السَّلَف على الخلف لابن رجب (٨٨ ـ ٨٩).

بالعلم النَّافع عُنِيَ واشتغل، ومَن وَقَفَ على هذا وأَخلصَ القصدَ فيه لوجهِ الله ﷻ واستعانَ عليه أعانهُ وهداهُ، ووفّقَهُ وسدَّدَهُ، وفَهَّمَهُ وألهمَهُ؛ وحينئذ يُثمِرُ لهُ هذا العلمُ ثَمرتَهُ الخاصَّةَ به، وهي خشيةُ الله، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]. قال ابنُ مسعودٍ وغيرُه: كفَى بخشية الله علمًا، وكفَى بالاغترار بالله جهلًا. وقال بعضُ السَّلف: ليس العلمُ بكثرةِ الرِّواية، ولكن العلم الخشية»(١).

۞ قال الإمامُ ابنُ رجب ﵀: «فإذا أثمرَ العلمُ لصاحبه هذا فهو علمٌ نافعٌ، فمتى كان العلمُ نافعًا ووَقَر في القلب فقد خَشعَ القلبُ لله وانكسرَ لهُ، وذَلَّ هيبةً وإجلالًا وخشيةً ومحبَّةً وتعظيمًا، ومتى خشعَ القلبُ لله وذَلَّ وانكسرَ لهُ قَنعت النَّفسُ بيسير الحلال مِنَ الدُّنيا وشَبِعَت به، فأوجبَ لها ذلك القناعةَ والزُّهدَ في الدُّنيا، وكُلُّ ما هو فانٍ لا يَبقَى من المال والجاهِ وفُضول العيش الذي يَنقُص به حَظُّ صاحبِه عند الله مِن نعيم الآخرة وإن كان كريمًا على الله، كما قال ذلك ابنُ عُمَرَ وغيرُهُ مِنَ السَّلَف، ورُوي مرفوعًا»(٢).

۞ قال الإمامُ ابنُ رجب ﵀: «وعلامةُ هذا العلم الذي لا يَنفعُ أن يُكسِبَ صاحبَهُ الزَّهوَ والفخرَ والخيلاءَ وطلبَ العُلُوِّ والرِّفعةِ في الدُّنيا والمنافسةِ فيها، وطلبَ مُباهاةِ العُلَماءِ ومماراة السُّفَهاءِ وصرفَ وجوهِ النَّاس إليه، وقد وردَ عن النبيِّ ﷺ أنّ مَن طلبَ العلمَ لذلك فالنَّارَ النَّارَ! ورُبما ادَّعى بعضُ أصحاب هذه العُلوم معرفةَ الله وطلبَهُ والإعراضَ عمَّا سواهُ،

---

(١) فضل علم السَّلف على الخلف (٩٦ ـ ٩٧).

(٢) فضل علم السَّلف على الخلف (٩٦ ـ ٩٧).

وليس غَرضُهم بذلك إلّا طلبَ التقدُّم في قلوب النَّاس مِنَ المُلوك وغيرهم، وإحسانَ ظنِّهم بهم وكثرةَ أتباعهم، والتعظم بذلك على النَّاس»[١].

۞ قال الإمامُ مالك رحمه الله لفتًى مِن قُريش: يا ابنَ أخي، تَعلّم الأدبَ قبلَ أن تتعلمَ العلم[٢].

۞ وقال يوسف بن الحسين: بالأدب تَفهمُ العلم[٣].

۞ قال الليث بنُ سعد لَمَّا أشرفَ على أصحاب الحديث فرأى منهُم شيئًا فقال: «ما هذا؟ أنتُم إلى يَسيرٍ مِنَ الأدب أحوجُ منكم إلى كثيرٍ مِنَ العلم»[٤].

۞ قال ابنُ الجوزي رحمه الله: «رأيتُ أكثرَ العلماءِ يَتشاغلونَ بصورة العلم، فهَمُّ الفقيه التدريسُ، وهَمُّ الواعظ الوَعظُ؛ فهذا يَرعَى دَرسَهُ فيَفرحُ بكثرةِ مَن يَسمعُه، ويقدحُ في كلام مَن يُخالِفُه، ويُمضِي زمانَهُ في التفكُّر في المناقَضات ليقهرَ مَن يُجادِلُه، وعَينُه إلى التصدُّر والارتفاع في المجالس، ورُبما كانت هِمَّتُه جمعَ الحُطام، ومخالطة السَّلاطين! والواعظُ هِمَّتُه ما يُزَوِّقُ به كلامَه، ويُكثِر جَمعَهُ، ويَجلب به قُلوب النَّاس إلى تعظيمه، فإنْ كان لهُ نظيرٌ في شُغله أخذَ يَطعَنُ فيه! وهذه قلوبٌ غافلةٌ عن الله عز وجل، إذ لو كانت لها به معرفةٌ لاشتغلت به، وكان أُنسُها بمُناجاته، وإيثارُها لطاعته»[٥].

(١) فضل علم السَّلف على الخلف (١٠٥ ـ ١٠٦).
(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني (٦/٣٣٠).
(٣) اقتضاء العلم العمل (٣١).
(٤) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (١٢٢).
(٥) صيد الخاطر لابن الجوزي (٤٢٨).

❁ قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «إنِّي لَأَحسب الرَّجُل ينسى العلمَ كان يَعلَمُه للخطيئة يَعمَلُها»[١].

❁ وقال وكيعٌ رحمه الله: «استعينوا على الحفظ بترك المعصية»[٢].

❁ وقال الإمامُ مالكٌ للشافعيِّ رحمهما الله في أوَّل ما لَقِيَهُ: «إنِّي أرى اللهَ قد أَلقَى على قلبك نورًا، فلا تُطفئهُ بظُلمة المعصية»[٣].

❁ وقال الإمامُ الشافعيُّ رحمه الله: «مَن أحبَّ أن يَفتحَ الله لهُ قلبَهُ أو يُنَوِّرَهُ فعليه بترك الكلام فيما لا يَعنيه، وتركِ الذنوب واجتناب المعاصي، ويكون لهُ فيما بينَهُ وبينَ الله خَبيئةٌ مِن عملٍ؛ فإنَّهُ إذا فعلَ ذلك فتحَ اللهُ عليه مِنَ العلم ما يَشغَلُه عن غيره، وإنّ في الموت لَأكثرُ الشُّغل»[٤].

❁ قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله: «واللهُ سبحانه جعل ممَّا يُعاقبُ به النَّاس على الذنوب سَلبَ الهدى والعلم النَّافع، كقوله: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ﴾ [النِّساء: ١٥٥]، وقال: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ﴾ [البقرة: ٨٨]، وقال: ﴿وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١٠٩ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ [الأنعام: ١٠٩ ـ ١١٠]، وقال: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ﴾ [البقرة: ١٠]، وقال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [الصف: ٥]»[٥].

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/١٣١).

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان (١/٣٩).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية (٤/٣٢٧).

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي (٢/١٧١).

(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤/١٥٢).

۞ وقال ابنُ القيِّم رحمه الله: «وكلَّما قَرُبَ القلبُ من الله زالت عنهُ مُعارِضاتُ السُّوءِ وكان نورُ كَشْفِهِ للحقِّ أتمَّ وأقوَى، وكُلَّما بَعُدَ عن الله كَثُرَت عليه المعارضاتُ وضَعُفَ نورُ كَشفِهِ للصَّواب»(١).

۞ وقال إبراهيمُ النَّخَعي رحمه الله: «كانوا إذا أتوا الرَّجُل ليأخذوا عنهُ نَظَرُوا إلى هَدْيِهِ وسَمْتِهِ وصلاته، ثمَّ أخذوا عنه»(٢).

۞ وقال عبدُالرَّحمن بنُ مَهدي رحمه الله: «ثلاثةٌ لا يُؤخَذُ عنهم: المتَّهَمُ بالكذب، وصاحبُ بدعةٍ يَدعو إلى بدعته، والرَّجُل الغالبُ عليه الوَهمُ والغلط»(٣).

۞ وقال الإمامُ مالكٌ رحمه الله: «لا يُؤخَذُ العلم من أربعة ويُؤخَذ من سوى ذلك: لا يُؤخَذ مِن سَفيهٍ، ولا يُؤخذ من صاحب هَوى يَدعُو النَّاسَ إلى هواهُ، ولا مِن كَذّاب يَكذِبُ في أحاديث النَّاس وإن كان لا يُتَّهَمُ على أحاديثِ رسول الله ﷺ، ولا من شيخٍ لهُ فضلٌ وصلاحٌ وعبادةٌ إذا كان لا يَعرِفُ ما يُحَدِّث»(٤).

۞ قال الحافظُ ابنُ رجب رحمه الله: «فلو استغنَى أَحَدٌ عن الرِّحلة في طلب العلم لاستغنى عنهُ موسى عليه السلام حيثُ كان أعطاهُ اللهُ التوراةَ التي كتبَ لهُ فيها عن كُلِّ شيءٍ، ومع هذا فلمَّا أخبرهُ اللهُ عن الخَضِر أنّ عندهُ علمًا

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/٣٢٧).

(٢) التمهيد لابن عبد البر (١/٤٧).

(٣) شرح علل الترمذي لابن رجب (١/١٠٩، ١١٠)، الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (١٤٣).

(٤) التمهيد لابن عبد البر (١/٦٦).

يختصُّ به سأل السَّبيلَ إلى لقائه ثمَّ سار هو وفتاهُ إليه»[(١)].

۞ وقال الخطيبُ البغدادي رحمه الله: «والطلبُ المفروض على كُلِّ مسلم إنَّما هو طلبُ العلم الذي لا يَسَعُ جهلُه، فتجوزُ الرِّحلةُ بغير إذنِ الأبوينِ إذا لم يَكُن ببلدِ الطالب مَن يُعَرِّفُه واجباتِ الأحكامِ وشرائعَ الإسلام، فأمَّا إذا كان قد عَرَفَ علمَ المفترَض عليه فتُكرَهُ له الرِّحلةُ إلّا بإذنِ أبويه»[(٢)].

۞ قال عبدالرَّحمن بن مهدي رحمه الله: سمعت سُفيانَ يقول: «ما بلغني عن رسول الله ﷺ حديثٌ قَطُّ إلّا عملتُ به، ولو مرَّةً»[(٣)].

۞ وقال الإمامُ أحمد رحمه الله: «ما كتبتُ حديثًا إلّا وقد عملتُ به، حتَّى مَرَّ بي أنَّ النبيَّ ﷺ احتجمَ وأعطى أبا طيبةَ دينارًا فأعطيتُ الحجَّامَ دينارًا حينَ احتجمتُ»[(٤)].

۞ وقال أبو الشيخ الأصبهاني رحمه الله في شأن كتابه «ثواب الأعمال»: «ما عملتُ فيه حديثًا إلّا بعد أن استعملتُه»[(٥)].

۞ وقال ابن الجوزي رحمه الله: «لقيتُ مشايخَ أحوالُهم مختلفةٌ في مقاديرَ في العلم، وكان أنفعُهُم لي في صُحبته العاملَ منهم بعلمه، وإن كان غيرُه أعلمَ منه»[(٦)].

---

(١) ورثة الأنبياء شرح حديث أبي الدرداء (ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي) (٨/١).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢٢٨/١).

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٤٢/٧).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢١٣/١١).

(٥) سير أعلام النبلاء (٢٧٨/١٦).

(٦) صيد الخاطر (١٥٨).

۞ قال مالكُ بنُ دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنّ العالم إذا لم يَعمل بعلمه تزِلُّ مَوعظتُه عنِ القلوب كما يَزِلّ القَطْرُ مِنَ الصَّفَا»[١].

۞ وقال عليُّ بنُ المَدِيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التفقُّه في معاني الحديث نصفُ العلم، ومعرفةُ الرِّجَال نصفُ العلم»[٢].

۞ وقال أبو عبدالله الحاكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بعدَ معرفةِ ما قدَّمنا ذِكرَهُ من صحَّة الحديث ـ إتقانًا ومعرفةً لا تقليدًا وَظَنًّا ـ معرفةُ فِقه الحديث؛ إذ هو ثمرةُ هذه العلوم، وبه قِوَامُ الشَّريعة»[٣].

۞ قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صحَّة الفهم وحُسن القصد مِن أعظم نِعَم الله التي أنعمَ بها على عبده، بل ما أُعْطِيَ عبدٌ عَطَاءً بعد الإسلام أفضلَ ولا أجَلَّ منهما، بل هما ساقا الإسلام وقِيامُه عليهما، وبهما يَأمَنُ العبدُ طريقَ المغضوب عليهم الذينَ فَسَدَ قصدُهم، وطريقَ الضَّالينَ الذينَ فَسَدَت فُهُومُهم، ويَصيرُ مِنَ المُنعَم عليهم الذين حَسُنَت أفهامُهم وقُصُودُهم، وهم أهلُ الصِّراط المستقيم الذينَ أُمِرْنَا أن نسألَ اللهَ أن يَهدِيَنا صراطَهُم في كُلِّ صلاةٍ، وصحَّةُ الفهم نورٌ يَقذِفُه اللهُ في قلب العبد يُميِّزُ به بينَ الصَّحيح والفاسدِ، والحقِّ والباطل، والهدى والضَّلال، والغَيِّ والرَّشاد، ويَمُدُّهُ حُسنَ القصدِ وتحرِّيَ الحقِّ وتقوَى الرَّبِّ في السِّرِّ والعلانية، ويقطعُ مادَّتَهُ اتِّباعُ الهوَى وإيثارُ الدُّنيا وطلبُ مَحْمَدَةِ الخلق وتركُ التقوى»[٤].

---

(١) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين لابن النحاس (١٣٠).
(٢) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي (٣٢٠).
(٣) معرفة علوم الحديث لأبي عبد الله الحاكم (٦٣).
(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/٩٣).

۞ وقال أيضًا: «والمقصودُ تفاوُتُ النَّاسِ في مراتب الفهم في النُّصُوص، وأنَّ منهم مَن يَفهَمُ مِنَ الآية حُكمًا أو حُكمينِ، ومنهُم مَن يَفهَمُ عَشَرةَ أحكامٍ أو أكثرَ مِن ذلك»(١).

۞ قال ابنُ القيِّم رحمه الله: «إنّ العلم يَرفَعُ صاحبَهُ في الدُّنيا والآخرة ما لا يَرفعُه المُلك ولا المال ولا غيرُهما؛ فالعلمُ يَزيدُ الشَّريفَ شرفًا، ويَرفَعُ العبدَ المملوكَ حتَّى يُجلِسَهُ مجالسَ المُلوك، كما ثبت في الصَّحيح من حديث الزُّهريِّ عن أبي الطُّفَيل: أنّ نافعَ بنَ عبدِ الحارث أتى عُمَرَ بنَ الخطّاب رضي الله عنه بعُسْفَانَ ـ وكان عُمَرُ استعمَلَهُ على أهل مَكَّة ـ فقال لهُ عُمَر: مَنِ استخلفتَ على أهل الوادي؟ قال: استخلفتُ عليهم ابنَ أبزى. فقال: مَنِ ابنُ أبزى؟ فقال: رجُلٌ مِن مَوالينا. فقال عُمَر: استخلفتَ عليهم مَولًى؟! فقال: إنَّهُ قارئٌ لكتاب الله، عالِمٌ بالفرائض. فقال عُمَر: أَمَا إنَّ نبيَّكُم صلى الله عليه وسلم قد قال: «**إنَّ الله يَرفَعُ بهذا الكتاب أقوامًا ويَضَعُ به آخَرِينَ**»(٢).

۞ قال أبو العَاليَةَ: كنتُ آتي ابنَ عباسٍ وهو على سَريرِهِ وحَولَهُ قريشٌ فيأخُذُ بيدِي فيُجلِسُني معهُ على السَّريرِ، فتغامز بي قريش، ففَطِنَ لهم ابنُ عبَّاس فقال: «كذا هذا العلمُ؛ يَزيدُ الشَّريفَ شَرَفًا ويُجلِسُ المَمْلُوكَ على الأسِرَّة»(٣).

۞ وكان عبدُالله بنُ مسعودٍ رضي الله عنه يقولُ إذا رأى الشبابَ يَطلُبونَ العلم: «مَرحبًا بينابيعِ الحكمةِ ومصابيح الظُّلَم، خِلْقَانُ الثِّيابِ جُدَدُ القُلوب، حَبسُ

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/٣٩٧).

(٢) مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية (١/١٦٤).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/١٦٤).

البُيوت رَيحانُ كُلِّ قَبيلةٍ»[١].

۞ سأل معاويةُ بنُ أبي سفيانَ رضي الله عنهما دغفلَ بنَ حنظلةَ فقال: «يا دغفل، مِن أينَ حفظتَ هذا؟ قال: حَفِظتُ هذا بقلبٍ عَقُولٍ ولِسانٍ سَؤُولٍ»[٢].

۞ قال بدر الدِّين بن جماعة رحمه الله في صفة طالب العلم: «أن يُطهِّرَ قَلبَهُ مِن كُلِّ غِشٍّ ودَنَسٍ وغِلٍّ وحَسَدٍ وسُوءِ عقيدةٍ وخُلُق؛ ليَصلُحَ بذلك لِقَبولِ العلم وحفظه، والاطِّلاع على دقائقِ مَعانيهِ وحقائقِ غَوامِضه؛ فإنّ العلمَ ـ كما قال بعضُهم ـ صلاةُ السِّرِّ وعبادةُ القلب وقُربةُ الباطن، وكما لا تَصلُحُ الصَّلاةُ ـ التي هي عبادةُ الجوارحِ الظاهرةِ ـ إلّا بطهارةِ الظاهِرِ مِنَ الحَدَث والخبث، فكذلكَ لا يَصحُّ العلمُ ـ الذي هو عبادةُ القلب ـ إلّا بطهارتهِ عن خبثِ الصِّفَاتِ وحَدَثِ مَساوِئ الأخلاق ورَدِيئها»[٣].

۞ قال ابنُ القيِّم رحمه الله: «للعلم سِتُّ مَراتبَ:

أوَّلُها: حُسنُ السُّؤال.

الثانيةُ: حُسن الإنصاتِ والاستماع.

الثالثةُ: حُسن الفهم.

الرَّابعة: الحفظ.

الخامسة: التعليم.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢٣١/١).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٣٧٨/١).

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابن جماعة (٣٤).

السَّادسة ـ وهي ثَمرتُه ـ وهي: العملُ به ومُراعاةُ حُدودِه»[١].

۞ وقال الزُّهريُّ رحمه الله: «كان أبو سَلَمةَ يَسألُ ابنَ عبَّاسٍ رضي الله عنهما فكانَ يُعرِضُ عنهُ، وكان عُبيدُالله بنُ عبدِالله بنِ عُتبةَ يُلاطِفُهُ فيغرُّه غرًّا»[٢].

۞ وقال أبو سَلَمةَ رحمه الله: «لو رَفَقتُ بابن عبَّاسٍ لاستخرجتُ منهُ علمًا كثيرًا»[٣].

۞ وقال ابنُ جُرَيْج رحمه الله: «لم أَستخرِجِ العلمَ الذي استخرجتُ من عطاءٍ إلّا برِفقي به»[٤].

۞ وقال الحسن بن علي: «إذا جالستَ العالِمَ فكُن على أن تَسْمَعَ أحرصَ منك على أن تقولَ»[٥].

۞ قال عبدُالله بنُ المبارَك رحمه الله: «مَن بَخِلَ بالعلم ابتُليَ بثلاثٍ: إمَّا بموتٍ يُذهِبُ عِلمَهُ، وإمَّا ينسَى، وإمَّا يَلزَمُ السُّلطانَ فيذهب علمه»[٦].

۞ عن أبي قلابةَ قال: «العلماءُ ثلاثةٌ: رجُلٌ عاشَ بعلمِه ولم يُعِشِ النَّاسَ به، ورَجُلٌ عاشَ النَّاسُ بعلمِهِ ولم يَعِش هُوَ به، ورجُل عاشَ بعِلمِه وعاشَ النَّاسُ بهِ معهُ»[٧].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/١٦٩).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/٢٠٨).

(٣) سنن الدارمي (١/١١٨).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (١/٥١٩).

(٥) مكارم الأخلاق للخرائطي (٢٣٩).

(٦) سير أعلام النبلاء (٨/٣٩٨).

(٧) جامع بيان العلم وفضله (٢/٨٢٣).

❁ قال الذهبي: «فنسأل اللهَ أن يختِمَ لنا بخير، وأن يَتوفّانا على الإيمان والسُّنَّة، فلقد قَلَّ مَن يَتمسَّكُ بمَحض السُّنَّة، بل تراهُ يُثني على السُّنَّة وأهلِها وقد تَلَطّخ ببِدَع الكلامِ، ويَجْسَرُ على الخوضِ في أسماء الله وصفاتِه، وبادرَ إلى نَفيِهَا، وبالغَ بزعمه في التنزيهِ! وإنَّما كان التنزيهُ تعظيمَ الرَّبِّ ﷻ ونَعتَهُ بما وصفَ به نفسَهُ تعالى»[١].

❁ عن ابنِ بُرَيدةَ، عن أبيه ﵁ قال: «شَهِدتُ خَيبرَ، وكنتُ فيمن صَعِدَ الثّلمةَ، فقاتلتُ حتَّى رُئِيَ مَكاني، وعليَّ ثوبٌ أحمرُ، فما أعلمُ أنِّي رَكبتُ في الإسلام ذنبًا أعظمَ عليَّ منهُ ـ أي: الشُّهرة ـ».

علق الحافظُ الذَّهبي ﵀: «قلت: بلى، جُهَّال زمانِنا يَعُدُّونَ اليومَ مثلَ هذا الفعلِ مِن أعظمِ الجهادِ؛ وبكلِّ حالٍ فالأعمالُ بالنِّياتِ، ولعلّ بُريدَةَ ﵁ بإزرائِهِ على نفسِه يَصيرُ لهُ عملُه ذلك طاعةً وجهادًا، وكذلك يَقَعُ في العمل الصَّالح؛ رُبما افتخرَ به الغِرُّ ونَوَّهَ به، فيتحوَّلُ إلى ديوانِ الرِّياءِ. قال اللهُ تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]»[٢].

❁ قال الإمامُ الذَّهبيُّ ﵀: «كان السَّلَفُ يَطلُبونَ العلم لله، فنبُلُوا وصاروا أئمَّةً يُقتَدَى بهم، وطَلَبهُ قومٌ منهُم أوَّلًا لا لله وحصَّلُوه، ثمَّ استفاقُوا وحاسبوا أنفُسَهُم، فجرَّهُمُ العلمُ إلى الإخلاص في أثناءِ الطريق، كما قال مجاهِدٌ وغيرُه: طَلَبنا هذا العلمَ وما لَنا فيه كبيرُ نيَّة، ثمَّ رَزَقَ اللهُ النِّيَةَ بعدُ. وبعضُهم يقول: طَلبنَا هذا العلمَ لغير الله فأَبى أن يَكونَ إلّا لله فهذا أيضًا حَسَنٌ، ثمَّ نَشَروهُ بنيةٍ صالحةٍ.

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/٢٤٥).
(٢) سِيَر أعلام النُّبلاء (٢/٤٧٠).

وقومٌ طلبوهُ بنيةٍ فاسدةٍ لأجل الدُّنيا، ولِيُثنَى عليهم، فلهُم ما نَوَوْا. قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «**مَن غَزَا يَنوِي عِقَالًا فلَهُ ما نَوَى**». وترى هذا الضَّربَ لم يَستَضيئُوا بنُورِ العلم، ولا لهم وَقْعٌ في النُّفُوس، ولا لِعلمِهِم كبيرُ نتيجةٍ مِنَ العمل، وإنَّما العالِمُ مَن يَخشَى اللهَ تعالى.

وقومٌ نالوا العلمَ، ووُلّوا بهِ المَناصِبَ، فظَلَمُوا، وتَرَكُوا التَّقَيُّدَ بالعلم، ورَكِبُوا الكبائرَ والفواحشَ، فتَبًّا لهم! فما هؤلاء بعُلَماء!

وبعضُهم لم يَتَّقِ اللهَ في عِلمه، بل رَكِبَ الحِيَلَ، وأفتَى بالرُّخَص، ورَوَى الشَّاذَّ مِنَ الأخبار.

وبعضُهم اجترأَ على الله، ووَضَعَ الأحاديثَ، فهتَكَهُ الله، وذهَبَ عِلمُه، وصارَ زادَهُ إلى النَّار»[١].

۞ وقال عبدُالله بنُ وهبٍ صاحبُ الإمام مالكٍ رحمهما الله: «وكانَ أوَّلُ أمري في العبادة قبلَ طلَبِ العلم، فولِعَ منِّي الشيطانُ في ذِكرِ عيسى ابنِ مَريمَ: كيفَ خَلَقَهُ الله عز وجل؟ ونحوِ هذا، فشكوتُ ذلك إلى شيخٍ فقال لي: ابن وَهب؟ قلتُ: نَعَمْ. قالَ: اطلُب العلمَ، فكانَ سببَ طلبي للعلمِ»[٢].

۞ قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «إنَّما يَحفَظُ الرَّجُلُ على قَدْرِ نيَّتِهِ»[٣].

۞ وقال محمَّد بنُ النَّضْر: سمعتُ يحيى بنَ يحيى يقول: «سألَ رجُلٌ مالكَ بنَ أنسٍ: يا أبا عبدالله، هل يَصلُحُ لهذا الحفظِ شيءٌ؟ قال: إنْ كانَ

(١) سير أعلام النبلاء (١٥٢/٧).
(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢٧/١).
(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢٥٧/٢).

يَصلُحُ لهُ شيءٌ فتركُ المعاصي»[١].

❁ وقال بِشْرُ بنُ الحارث: «إن أردتَ أن تَلَقَّنَ العلمَ فلا تَعْصِ»[٢].

❁ وقال عليُّ بنُ خَشْرَم: «سألتُ وَكيعًا، قلتُ: يا أبا سُفيانَ، تَعلَمُ شيئًا للحِفظ؟ قال: أُراكَ وَافِدًا، ثمَّ قال: تَركُ المعاصي عَوْنٌ على الحفظ»[٣].

❁ وقال بعضُهم ـ ويُنسَبُ للشَّافعي ـ:

شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حِفظي فأرشدني إلى تركِ المعاصي
وأخبرني بأنَّ العلمَ نورٌ ونورُ الله لا يُهدَى لعاصِ

❁ وقال خالدُ بنُ خداش: «ودَّعتُ مَالِكًا فقلتُ: أوصِني يا أبا عبدالله، فقال: «عليكَ بتقوى الله، وطلبِ العلم مِن عندِ أهله»[٤].

❁ قال أبو زرعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سمعت أحمد بن حنبل ويحي بن معين يقولان: كل من لا يكتب العلم لا يؤمن عليه من الغلط»[٥].

❁ قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن العلم: «تَعَلُّمُهُ لِلَّهِ حَسَنَةٌ، وَطَلَبُهُ عِبَادَةٌ، وَمُدَارَسَتُهُ تَسْبِيحٌ، وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ، وَتَعْلِيمُهُ لِمَنْ لا يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ، وَبَذْلُهُ لأَهْلِهِ قُرْبَةٌ. وَهُوَ الأُنْسُ فِي الْوَحَدَةِ، وَالصَّاحِبُ فِي الْخَلْوَةِ»[٦].

❁ قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كفى بخشية الله علمًا، وكفى

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/٢٥٨).
(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/٢٥٨).
(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/٢٥٨).
(٤) مناقب الإمام مالك للزَّوَاوي (١٤٨ ـ ١٤٩).
(٥) جامع بيان العلم وفضله (١/٣٣٠).
(٦) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب للسفاريني (٢/٤٠٦).

بالاغترار بالله جهلاً»(١).

❁ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من عمل بخلاف الحق فهو جاهل، وإن علم أنه مخالف للحق، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ﴾ قال أصحاب محمد ﷺ: كل من عمل سوءاً فهو جاهل وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب، يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه، من قول أو فعل، فمتى صدر خلافه فلابد من غفلة القلب عنه، أو ضعفه في القلب بمقاومة ما يعارضه، وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم، فيصير جهلاً بهذا الاعتبار»(٢).

❁ قال أبو العالية رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾ قال: «سألت أصحاب محمد ﷺ عن هذه الآية، فقالوا لي: كل من عصى الله فهو جاهل، وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب»(٣).

❁ قال النووي رحمه الله: «أن يقصد بتعليمه وجه الله تعالى، ولا يقصد توصلا إلى غرض دنيوي، كتحصيل مال أو جاه أو شهرة أو سمعة أو تميز عن الأشباه أو تكثر بالمشتغلين عليه المختلفين إليه أو نحو ذلك، ولا يشين علمه وتعليمه بشيء من الطمع في رفق تحصل له من مشتغل عليه من خدمة أو مال أو نحوهما وإن قل، ولو كان على صورة الهدية التي لولا اشتغاله عليه لما أهداها إليه»(٤).

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٠٤/٧).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٢٢٩/١).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٢/٧).

(٤) المجموع (٥٠/١).

صُوَرٌ لِهِمَّةِ السَّلَفِ فِي طَلَبِ العِلْمِ

تأليف

د. عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ السَّدْحَان

صور لهمة السلف في طلب العلم

* تزوَّج إسحاقُ بن راهويه بمَرْوٍ بامرأةِ رجُلٍ كان عندهُ كُتب الشافعيِّ وتُوفِّي، ولم يتزوَّج بها إلَّا لِحَالِ كُتب الشافعي[١].

* قيل للشافعيِّ رحمه الله: كيف شهوتُك للعلم؟ قال: أسمعُ بالحرف ممَّا أسمعُه فتودُّ أعضائي أنَّ لها أسماعًا تتنعَّم به مثلَ ما تنعَّمت به الأذُنان. فقيل له: فكيف حرصُك عليه؟ قال: حرصُ الجَمُوع المَنُوع في بُلوغ لذَّته للمال. فقيل له: فكيف طلبُك له؟ قال: طلبُ المرأة المُضِلَّة وَلَدَها ليس لها غيرُه[٢].

* قال الإمامُ السَّمعاني: «أبو بكر محمد بن عبدالله الأودني، إمامُ أصحاب الشافعيِّ في عصره، وكان حريصًا على طلب العلم راغبًا في نشره، لم يَترُك طلبَه إلى آخِرِ عُمره، وما خرجَ من بيته إلَّا والدَّفترُ في كُمِّه»[٣].

* قال ابنُ الخاضِبَة: «... فأعرفُ أنِّي كتبتُ «صحيح مسلم» في تلك السَّنَة بالوراقة سبع مرَّات، فلمَّا كان ليلةٌ مِنَ الليالي رأيتُ في المنام كأنَّ القيامة قد قامت، ومُنادٍ ينادي: أينَ ابنُ الخاضبة؟ فأُحضِرْتُ فقيل لي:

---

(١) آداب الشافعي ومناقبه للحافظ أبي محمَّد عبدالرَّحمن بن أبي حاتم الرَّازي (٦٤).

(٢) آداب الشافعي ومناقبه (٣/٢٢ ـ الحاشية). وانظر: تذكرة السَّامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم (٣).

(٣) الأنساب للسمعاني (١/٢٢٦).

ادخُل الجنَّة، فلمَّا دخلتُ الباب وصرتُ من داخل استلقيتُ على قَفَاي ووضعتُ إحدى رِجليَّ على الأخرى وقلت: آه، استرحتُ والله مِنَ النَّسخ»[١].

* كان القاضي أبو الطيِّب يُسمِّي الشيخَ أبا إسحاق ـ الشيرازي ـ «حمامةَ المسجد» لِلُزُومه واشتغالِه بالعلم طولَ ليلِه ونَهارِه[٢].

* قال أبو سعد بن السَّمعاني: «زاهر بن طاهر الشحامي، أبو القاسم، شيخٌ مُتيقِّظ مُكْثِر، جمعَ ونَسَخَ بخطِّه، وكان صاحبَ أصولٍ، وعُمِّرَ حتَّى حُمِل عنهُ الكثير، ورَحَل في رواية الحديث ونشره مِثلَ ما يَرحَلُ الطلَّاب في جمعه، وَرَدَ علينا مَرْوًا قاصداً للرِّواية بها، وحجَّ، وسُمِع منه الكثيرُ ببغداد وهمذان والرَّي والحجاز، ورجع إلى نَيْسَابور، وكان صبورًا لا يَضْجَرُ مِنَ القراءة عليه، حتَّى قرأتُ عليه «تاريخ نيسابور» للحاكم أبي عبدالله في أيام قلائل، كنتُ أَمضي قبلَ طُلوع الشمس فأقرأُ إلى وقتِ غُروبها، وكان يَقعُد ويَستمِعُ»[٣].

* سُليمان بن أحمد الطبراني، أشهرُ مِن أن يُدلّ على فضله وعلمه، حَدَّث بأصبهان ستِّينَ سنةً. فسَمِعَ منهُ الآباءُ ثمَّ الأبناءُ ثمَّ الأسباطُ حتَّى لَحِقُوا بالأجداد، وكان واسعَ العلم، كثيرَ التصنيف[٤].

* غالب بن عبدالرَّحمن بن غالب بن تمام بن عطية المحاربي: كان

---

(١) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجَّار (٦).
(٢) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (٤٥).
(٣) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (١١٨).
(٤) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (١٢٤).

حافظًا للحديث وطُرُقه وعِلَلِه، عارفًا بأسماءِ رجاله ونَقَلَتِه، منسوبًا إلى فهمه، ذاكِرًا لِمُتُونه ومَعَانيه. وقرأتُ بخطِّ بعض أصحابنا أنه سمع أبا بكر بن عطية يَذكُر أنه كرَّر «صحيح البخاري» سبعَمِائةِ مرَّةٍ. وكان أديبًا شاعرًا، لغويًّا، ديِّنًا، فاضلًا، أخذَ الناسُ عنه كثيرًا[١].

* قال ياقوتٌ الحمويّ: «... والخزائنُ الخاتونية في مدرستها، والضميرية في خانكاه هناك، وكانت سهلةَ التناوُل لا يُفارِقُ منزلي منها مِائَتا مجلدٍ وأكثر بغير رَهنٍ تكونُ قيمتُها مائتي دينارٍ، فكنتُ أرتَعُ فيها وأقتبِسُ من فوائدها، وأنساني حُبُّها كُلَّ بلدٍ، وألهاني عن الأهل والولد، وأكثرُ فوائدِ هذا الكتاب وغيره ممَّا جمعتُه فهو من تلك الخزائن»[٢].

* قال ابنُ مُفلح: رُوي عن الزُّهري أنه كان يَرجع إلى منزله وقد سمع حديثًا كثيرًا، فيُعيدُه على جاريةٍ لهُ مِن أوَّله إلى آخِره كما سمعه، ويقولُ لها: إنَّما أردتُ حِفظَه. وكان غيرُه يُعيدُه على صِبيان المكتب ليحفظَه[٣].

* قال أبو الوليد: قال لي حمَّاد بنُ زيد: إذا خالفني شُعبةُ في حديثٍ صرتُ إلى قوله. قلتُ: كيف يا أبا إسماعيل؟ قال: إنَّ شُعبةَ كان لا يَرضَى أن يَسمَع الحديثَ عِشرينَ مرَّةً، وأنا أرضى أن أسمعَهُ مرَّةً[٤].

* قال عباسٌ الدُّورِي: سمعتُ يحيى بن مَعينٍ يقولُ: لو لم نَكتُب الحديثَ خمسينَ مرَّةً ما عرفناهُ[٥].

(١) كتاب الصِّلَة لابن بشكوال (٤٥٨).
(٢) معجم البلدان لياقوت الحموي (١١٤/٥).
(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح الحنبلي (١٢٠/٢).
(٤) سِيَر أعلام النبلاء (٢١٩/٧).
(٥) سير أعلام النبلاء (٨٤/١١).

* قال مجاهد بن موسى: كان يحيى بنُ مَعين يكتُب الحديثَ نيِّفًا وخمسينَ مرَّةً[١].

* قال أبو إسحاقَ الشِّيرازي: كنتُ أُعيدُ كُلَّ قياسٍ ألفَ مرَّةٍ، فإذا فرغتُ منه أخذتُ قياسًا آخَر، وهكذا.. وكنتُ أعيدُ كُلَّ درسٍ ألفَ مرَّةٍ، فإذا كان في المسألة بيتٌ يُستشهَدُ به حَفِظتُ القصيدةَ[٢].

* حتَّى قيل عنه: إنَّ أبا إسحاقَ كان يَحفَظُ مَسائلَ الخلاف كما يحفظُ أحدُكم الفاتحة[٣].

* سُئل أبو بكر بنُ محمَّدٍ البُخاريُّ عن مسألةٍ، فقال: هذهِ المسألةُ أعَدْتُها في بُرج مِن حصنِ بُخارَى أربعَمِائة مرَّةٍ. وكان إذا طَلبَ المتفقِّهُ منه الدَّرسَ ألقَى عليه مِن أيِّ مَوضِع شاءَ مِن غير مطالعةِ كتابٍ[٤].

* إسماعيلُ بن محمَّد بن إسماعيل يقال: أَقرَأَ «المُقْنِع» مائةَ مرَّة[٥].

* قال الشيخ عبدالرَّحمن الفريان: كنتُ أيامَ الطلَب في الصِّغَر أُكرِّر الدَّرس مِنَ القُرآن ثمانينَ مرَّةً. فقال لي الشيخُ عبدالله بن حميد رحمه الله: كرِّر مائةَ مرَّةٍ، فقلتُ: هذا كثير[٦].

* قال الكيا الهرَّاسي: كانت في مدرسة سرهنك بنيسابور قناةٌ لها

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩٢/١١).
(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢١٨/٤).
(٣) طبقات الشافعية الكبرى (٢٢٢/٤).
(٤) الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ لابن الجوزي (٣٢)، سير أعلام النبلاء (٤١٦/١٩).
(٥) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي (٤٠٩/٢).
(٦) «الحفظ، أهميته، عجائبه، طريقته، أسبابه» عبدالقيوم السحيباني (٦٠).

سبعونَ درجةً، وكنتُ إذا حَفِظتُ الدَّرسَ أَنزِلُ القناةَ وأُعيدُ الدَّرس في كُلِّ درجةٍ مرَّةً في الصُّعود والنُّزول. قال: وكذلك كنتُ أفعلُ في كلِّ درسٍ حفظتُه(١).

* وفي بعض الكتُب أنه ـ أي: الكيا ـ كان يُكرِّر الدَّرسَ على كُلِّ مِرقاةٍ مِن مَراقي درج المدرسة النِّظامية بنَيْسَابورَ سبعَ مرَّاتٍ، وأنَّ المرَاقِيَ كانت سبعينَ مِرقاةً، أي: يُكرِّرُ الدَّرس أربعمائة وتسعينَ مرَّةً(٢).

* سُئل بعضُ الشناقطة من أصحاب الحفظ المتقَن عن طريقته في المراجعة فقال: أكرِّرُه على الجهات ثمانينَ مرَّةً، يتَّجِهُ نحو الشرق فيقرأ ثمانينَ مرَّةً، ثمَّ يتَّجهُ نحو الغرب فيقرأ ثمانينَ مرَّةً، وكذا يفعل في باقي الجهات(٣).

* قال العسكري: وكان الحفظ يتعذَّر عليَّ حينَ ابتدأتُ، ثمَّ عوَّدتُه نفسي إلى أن حفظتُ قصيدةً قريبًا من مئتي بيتٍ في ليلةٍ(٤).

* قال الشعبي: رحل مسروقٌ في آيةٍ إلى البصرة، فسأل عن الذي يُفسِّرُها، فأُخبِرَ أنه بالشام، فتجهَّزَ إلى الشام حتَّى سأل عنها(٥).

* قال سعيد بن المسيّب: «إنِّي كنتُ لَأَسيرُ الأيامَ واللَّياليَ في طلب الحديث الواحد»(٦).

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٧/٢٣٢).
(٢) طبقات الشافعية الكبرى (٧/٢٣٢).
(٣) «الحفظ، أهميته، عجائبه، طريقته، أسبابه» للسحيباني (٦١).
(٤) الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه للحسن العسكري (١٧).
(٥) الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه (٦١).
(٦) الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه (٦١).

* قال أبو هلال العسكري: حُكي لي عن بعض المشايخ أنه قال: رأيتُ في بعض قُرى النَّبط فتًى فصيحَ اللَّهجة، حَسَن البيان، فسألتُه عن سبب فصاحته مع لكنة أهل جِلدته، فقال: كنتُ أعمِدُ في كُلِّ يومٍ إلى خمسينَ ورقةً من كُتب الجاحظ، فأرفعُ بها صوتي في قراءتها، فما مرَّ لي إلَّا زمانٌ قصيرٌ حتَّى صرتُ ما ترى[(١)].

* كان بعضُهم يقرأ الكتاب ثمَّ يُذاكِر به حرفًا حرفًا، كأنَّ قارئًا يقرؤه عليه فيفسِّرُه له[(٢)].

* كان الشيخ أبو علي يَكشِفُ عن ظهره في اللَّيلة الباردة، يَطرُدُ به النَّوم[(٣)].

* حكى الرَّبيع عن فاطمة بنت الشافعي رحمهما الله أنَّها قالت: أسرجتُ لأبي في ليلةٍ سبعينَ مرَّةً[(٤)].

* وحكي عن ثعلب[(٥)] أنه كان لا يُفارقه كتابٌ يَدرُسه، فإذا دعاهُ رجلٌ إلى دعوةٍ شَرَطَ عليه أن يُوسِّع له مِقدارَ مُسَوَّرَة[(٦)] يَضعُ فيها كتابًا ويقرأ[(٧)].

---

(١) الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه (٧٢).

(٢) الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه (٧٢).

(٣) الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه (٧٣).

(٤) الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه (٧٣).

(٥) هو أحمد بن يحيى الشيباني، من أئمَّة النحو الكوفيِّين وكان محدِّثًا مشهورًا بالحفظ، ثقةً حجةً، له مصنَّفاتٌ في اللُّغة والأدب والقراءات. الأعلام للزركلي (٢٦٧/١).

(٦) المسورة: هي المتكأ من جلد.

(٧) الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه (٧٧).

* كان أبو بكر الخياط النحوي يدرس جميع أوقاته، حتى في الطريق، وكان ربما سقط في جرف أو خبطته دابة(١).

* حُكي عن بعضهم: أنه كان يَشُدّ في وسطه خيطًا إذا قام من الليل يَدرُس خوفًا من أن يَسقُط إذا نعس(٢).

* كان ابنُ الفُرات لا يَترُك كلَّ يومٍ إذا أصبح أن يَحفَظَ شيئًا وإن قلَّ(٣).

* قال رجلٌ لسُقراط(٤): كيف حفظتَ هذا العلمَ الكثير؟ فقال: أوقدتُ مِنَ الزَّيت أكثرَ ممَّا شربتُ من الماء(٥).

* قال أبو الحسن الكَرْخِي: كنتُ أحضُر مجلس أبي حازم يوم الجمعة بالغداة، من غير أن يكون درسٌ؛ لئلّا أنقض عادتي من الحضور(٦).

* اشترى أصحابُ الشافعيِّ له جاريةً، فلمَّا كان الليل أقبلَ على الدَّرس والجاريةُ تنتظِرُ اجتماعَه معها، فلم يَلتفت إليها، فلمَّا أصبحت سارت إلى النخَّاس(٧) وقالت: حَبَسُوني مع مجنون! فبلغ الشافعيَّ رحمه الله قولُها، فقال:

---

(١) الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه (٧٧).

(٢) الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه (٧٧).

(٣) الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه (٧٧).

(٤) سقراط (٣٩٩ ق. م) فيلسوفٌ يوناني من أثينا، لم يترك أثرًا مكتوبًا، تدورُ مبادئه حول الفضيلة والعدل، سجَّل تلميذه أفلاطون حياته وتعاليمه، اتُّهم بإفساد عقائد الشبَّان فحُكم عليه بالموت بالسمّ شربًا.

(٥) الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه (٧٨).

(٦) الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه (٧٨).

(٧) النخاس: هو بائع الرقيق.

المجنونُ مَن عَرَفَ قَدْرَ العلم ثمَّ ضيَّعَهُ، أو توانى فيه حتَّى فاتَهُ(١).

* وقال بعضُ الكُتَّاب: كنَّا إذا دخلنا على أبي الفضل بن العَميد، رأينا إلى جانبه في مجلس العمل زُهاءَ مائةِ مُجلَّدة، فنُنكِر ذلك، ففَطِنَ يومًا لإنكارنا فقال: إنِّي أَحفَظُ جميعَ ما في هذه الكُتب، فإذا اشتغلتُ بالعمل عن درسها أَحْضَرْتُها عندي، فكلّما نظرتُ إليها ذكرتُ محفُوظي منها، فقام ذلك لي مَقامَ الدَّرس. ثمَّ قال لرجلٍ منَّا: خُذ أيَّها شئتَ. فأخذ الرَّجُل منها كتابًا وقال: هو الثاني من كتاب كذا. فابتدأ أبو الفضل فقرأ من أوَّله صدرًا، ثمَّ من وسطه، ثمَّ من آخِرِه، فتحقَّق عندنا أنه صَدَّقَ ما قال، وعجِبنا من حفظه وعنايته وحرصه. وكان يَأخُذ ابنه أبا الفتح كلَّ يومٍ بدرسِ ألفي بيتٍ قبل الغداء. وكان يَحفَظُ أكثرَ من مائتي ألفِ بيتٍ(٢).

* وكان الأصمعي يحفظ اثنتي عَشْرَةَ ألفَ أرجوزةٍ فيها ما كان عددُ أبياته المائة والمائتين(٣).

* قال نصر بن حماد الورَّاق: كنا قعودًا على باب شعبة نتذاكر، فقلتُ: حدَّثنا إسرائيل عن أبي إسحاق، عن عبدالله بن عطاء، عن عقبة بن عامر قال: كُنَّا نتناوبُ رعية الإبل على عهد رسول الله ﷺ، فجئتُ ذاتَ يوم والنبيُّ حولَهُ أصحابُه فسمعتُه يقول: «**مَن توضَّأَ فأحسنَ الوُضوءَ ثمَّ صلَّى ركعتينِ فاستغفرَ اللهَ إلَّا غَفَر لهُ**». فقلتُ: بخٍ بخ! فجذبني رجُلٌ من خلفي، فالتفتُّ فإذا عُمَر بنُ الخطاب فقال: الذي قبلُ أحسنُ. فقلتُ: وما قال؟ قال: قال: «**مَن شَهِدَ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمَّدًا رسولُ الله قيل لهُ:**

(١) الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه (٧٨).
(٢) الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه (٧٩).
(٣) الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه (٧٩).

ادخُل مِن أيِّ أبواب الجنَّة شئتَ».

قال: فخرج شُعبةُ فلَطَمني ثمَّ رجع فدخلَ، فتنحَّيتُ من ناحية. قال: ثمَّ خرجَ فقال: ما لهُ يَبكي بعدُ؟ فقال لهُ عبدُالله بنُ إدريسَ: إنَّك أسأتَ إليه.

فقال شُعبةُ: انظُر ما تُحدِّث؛ إنَّ أبا إسحاق حدَّثني بهذا الحديث عن عبدالله بن عطاءٍ عن عُقبةَ بنِ عامر. قال: فقلتُ لأبي إسحاقَ: مَن عبدُالله بنُ عطاءٍ؟ قال: فغَضِبَ ومِسْعَرُ بنُ كِدَام حاضِرٌ.

قال: فقلتُ لهُ: لَتُصحِّحَنّ لي هذا أو لَأَخرِقَنّ ما كتبتُ عنك! فقال لي مِسْعَرٌ: عبدُالله بن عطاءٍ بمكَّةَ.

قال شُعبةُ: فرحَلتُ إلى مَكَّةَ لم أُرِدِ الحجَّ أردتُ الحديثَ، فلقيتُ عبدَالله بنَ عطاءٍ فسألتُه فقال: سعدُ بنُ إبراهيم حدَّثني. فقال لي مالكُ بنُ أنس: سَعْدُ بالمدينةِ لم يَحُجَّ العامَ.

قال شُعبةُ: فرحلتُ إلى المدينة فلقيتُ سعدَ بنَ إبراهيمَ فسألتُه فقال: الحديثُ مِن عندِكُم، زيادُ بنُ مِخْرَاقٍ حدَّثني.

قال شُعبة: فلمَّا ذَكَرَ زيادًا قلتُ: أيُّ شيءٍ هذا الحديث؟ بينما هو كُوفيّ إذ صارَ مَدَنيًّا إذ صار بصريًا؟! قال: فرحلتُ إلى البصرةِ فلقيتُ زيادَ بنَ مخراقٍ فسألتُه فقالَ: ليس هو مِن بابَتِكَ. قلتُ: حَدِّثني به. قال: لا تُريدُه. قلتُ: حدِّثني به. قال: حدَّثني شَهْرُ بنُ حَوْشَب عن أبي رَيحانةَ عن عُقبةَ بنِ عامر عن النبيِّ ﷺ.

قال شُعبةُ: فلمَّا ذَكَرَ شَهْرَ بنَ حَوشب قلتُ: دَمِّر على هذا الحديث، لو صحَّ لي مثلُ هذا عن رسول الله ﷺ كان أحبَّ إليَّ من أهلي ومالي والناسِ أجمعينَ[(١)].

* قال جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: بلغني عن رجُل من أصحاب رسول الله ﷺ حديثٌ سَمِعَهُ من رسول الله ﷺ لم أسمَعْهُ منه، قال: فابتعتُ بعيرًا، فشددتُ عليه رَحلي، فسِرْتُ إليه شهرًا حتَّى أتيتُ الشَّامَ، فإذا هو عبدالله بنُ أُنيس الأنصاريّ. قال: فأرسلتُ إليه: أنَّ جابرًا على الباب. قال: فرجَعَ إليَّ الرَّسُول فقال: جابرُ بنُ عبدالله؟ فقلتُ: نعَم. قال: فرجَعَ الرَّسُولُ فخرجَ إليَّ فاعتنقني واعتنقتُه، قال: قلتُ: حديثٌ بلغني أنك سَمِعْتَهُ من رسول الله ﷺ في المظالم لم أسمَعْهُ فخَشيتُ أن أموتَ أو تَمُوتَ قبل أن أسمَعَهُ[(٢)].

* قال بعضُهم: عن عبدالله بن الإمام أحمد: «واللهِ ما رأيتُه إلَّا مُبتسِمًا أو قارئًا أو مُطالِعًا»[(٣)].

* قال بعضُهم عن الخطيب البغدادي: «ما رأيتُ الخطيبَ إلَّا وفي يده كتابٌ يُطالِعُه»[(٤)].

* قال محمَّد بن عبدالباقي: ما أعلم أنِّي ضيَّعتُ ساعةً من عُمري في لهوٍ أو لعب[(٥)].

---

(١) الرِّحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي (١٤٨ ـ ١٥٣).

(٢) الرِّحلة في طلب الحديث (١١٠). وانظر: فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٤٥٢/١٣).

(٣) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب لمحمد نصر الدين محمد عويضة (٦٢١/٣).

(٤) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (٦٢١/٣).

(٥) سير أعلام النبلاء (٢٦/٢٠).

❊ ومن الآثار العجيبة التي تُبيِّن مَدَى حِرصِهم على استغلال أوقاتهم ما ذكرهُ الذهبي رحمه الله في كتابه «السِّيَر» عن داود بن أبي هند رحمه الله: أنه كان يقول: «كنتُ وأنا غلامٌ أختَلِفُ إلى السُّوق، فإذا انقلبتُ إلى البيت جعلتُ على نفسي أن أَذكُرَ اللهَ إلى مكان كذا وكذا، فإذا بلغتُ ذلك المكانَ جَعلتُ على نفسي أن أذكرَ الله كذا وكذا... حتَّى آتي المنزل»(١).

❊ قال ثعلب: «ما فقدتُ إبراهيم الحربيَّ من مجلس نحوٍ أو لُغةٍ خمسينَ سنةً»(٢).

❊ قال وهب بن جرير عن أبيه قال: «جلستُ إلى الحسن سبعَ سنينَ لم أَخْرِمْ منه يومًا واحدًا، أصومُ وأذهبُ إليه»(٣).

❊ الإمام النووي رحمه الله كان يَحضُر في اليوم اثني عشر درسًا، ويقول عن نفسه: «كنتُ أعلِّق جميع ما يتعلّق بها من شرح مُشْكِلٍ، ووضوح عبارةٍ، وضبط لغةٍ، وبارك اللهُ تعالى في وقتي»(٤).

❊ قال الإمام أحمد رحمه الله: «مكثتُ في كتاب الحيض تسعَ سنين حتى فهمتُه»(٥).

❊ ومن العجائب في عدم الضَّجَر وعدم اليأس: ما ذكرهُ الشيخُ عطية محمَّد سالم عن شيخه محمَّد المختار الشنقيطي: «حدَّثني رحمه الله قال: جئت

(١) سير أعلام النبلاء (٦/٣٧٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/٣٦٠).
(٣) سير أعلام النبلاء (٦/٣٦٢).
(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/١٤٧٠).
(٥) طبقات الحنابلة للقاضي ابن أبي يعلى (١/٢٦٨).

إلى الشيخ لقراءتي عليه فشرحَ لي كما كان يَشرحُ ولكنَّه لم يَشفِ ما في نفسي على ما تعوَّدت، ولم يَرْوِ لي ظمئي، وقمتُ من عنده وأنا أَجِدُني في حاجةٍ إلى إزالة بعض اللّبس وإيضاح بعض المشكِل، وكان الوقتُ ظُهرًا، فأخذتُ الكُتب والمراجع فطالعتُ حتَّى العَصر فلم أَفْرَغ من حاجتي، فعاودتُ حتَّى المغرب فلم أنتَهِ أيضًا، فأوقدَ لي خَادِمي أعوادًا من الحطب أقرأُ على ضوئها كعادة الطلّاب، وواصلتُ المطالعةَ وأتناول الشايَ الأخضر كلّما مللتُ أو كَسلت، والخادمُ بجِواري يُوقِدُ الضَّوءَ حتَّى انبثقَ الفجرُ وأنا في مجلسي لم أقُم إلَّا لصلاةِ فرضٍ أو تناوُل طعامٍ، إلى أن ارتفع النَّهار وقد فَرَغتُ من درسي وزال عنِّي لبسي، ووجدتُ هذا المحلَّ من الدَّرس كغيره في الوُضوح والفهم، فتركتُ المطالعةَ ونِمتُ وأوصيتُ خادمي أن لا يُوقِظَني لدرسي في ذلك اليوم اكتفاءً بما حصلتُ عليه، واستراحةً من عناءِ سَهَر البارحة»[١]. فانظر كيف قضى يومه في مسألةٍ واحدة؟!

* قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية ﵀: «إنَّ جميع ما في القرآن من آياتِ الصِّفات فليس من الصَّحابة اختلافٌ في تأويلها، وقد طالعتُ التفاسيرَ المنقولةَ عنِ الصَّحابةِ وما رووهُ من الحديث، ووقفتُ من ذلك على ما شاء اللهُ تعالى من الكُتب الكبار والصِّغار، وأكثر من مائة تفسير، فلم أجد إلى ساعتي هذه عن أحدٍ من الصَّحابة أنّه تأوَّل شيئًا من آيات الصِّفات أو أحاديث الصِّفات بخلافِ مُقتضَاهَا المفهومِ المعروف»[٢].

* وقد ذَكر ابنُ عبدالهادي عن شيخ الإسلام ابن تيمية: أنه سمع

---

(١) مقالة بعنوان «مع صاحب الفضيلة والدنا الشيخ محمَّد الأمين الشنقيطي ﵀».

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/٣٩٤).

«مسند الإمام أحمد» مرَّاتٍ، وسمع الكُتب السِّتَّة الكبار، والأجزاء، ومن مسموعاته «مُعجَم الطبراني الكبير»(١).

* الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، قال عنه الخطيب البغدادي سمعت علي بن عبيدالله بن عبدالغفار اللغوي ـ المعروف بالسمسماني ـ: يحكي أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة. قال: وبلغني عن الشيخ أبي حامد الإسفراييني أنه قال: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيرًا. أو كلامًا هذا معناه. انتهى.

وذكر أبو محمد الفرغاني في صلة التاريخ أن قوما من تلامذة محمد بن جرير حسبوا لأبي جعفر منذ بلغ الحلم إلى أن مات، ثم قسموا على تلك المدة أوراق مصنفاته، فصار لكل يوم أربع عشرة ورقة.

قال السبكي: وهذا لا ينافي كلام السمسماني؛ لأنه منذ بلغ لابد أن يكون مضت له سنون في الطلب لا يصنف فيها(٢).

* قال الحافظ السخاوي: «وقع لشيخنا الحافظ ابن حجر أجل مما وقع لشيخه المجد اللغوي، فإنه قرأ صحيح البخاري في أربعين ساعة رملية، وقرأ صحيح مسلم في أربعة مجالس سوى مجلس الختم في يومين وشيء، وقرأ سنن ابن ماجه في أربعة مجالس، وقرأ كتاب النسائي الكبير في عشرة مجالس كل مجلس منها نحو أربع ساعات، وقرأ صحيح البخاري

---

(١) العُقود الدُّرِّيَّة من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية لابن عبد الهادي المقدسي (١٩).
(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٢٢/٣ ـ ١٢٣)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٦٣/٢).

في عشرة مجالس كل مجلس منها أربع ساعات». وقال أيضًا: «وأسرع شيء وقع له ـ أي لابن حجر ـ أنه قرأ في رحلته الشامية معجم الطبراني الصغير في مجلس واحد بين صلاتي الظهر والعصر! قال: وهذا الكتاب في مجلد يشتمل على نحو ألف حديث وخمسمائة حديث»[١].

* كان الإمام الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يأتي إلى العجائز والأشياخ والصِّبيان وذوات الخُدُور والصَّغير والكبير، فيسألهم ويُباحِثُهم، حتَّى حَوَى علمًا عظيمًا[٢].

* أبو العلاء الهمذاني العطار: باع جميعَ ما وَرِثَهُ ـ وكان من أبناءِ التجَّار ـ فأنفقَهُ في طلب العلم، حتَّى سافرَ إلى بغداد وإلى أصبهان مرَّاتٍ ماشيًا يَحمِلُ كُتبه على ظهره، وقال: كنتُ أَبيتُ ببغداد في المساجدِ وآكُل خُبزَ الدّخن.

وقال أبو الفضل بن نبهان الأديب: رأيتُ أبا العلاء العطّار في مسجدٍ من مساجدِ بغداد يَكتُب وهو قائمٌ على رجليه؛ لأنّ السِّراج كانت عالية[٣].

* الأنماطي محدِّث بغداد: من همته رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كان يَنسَخُ كُتب العلم الكبار، فينسَخُ كتاب «الطبقات» لابن سعد، ونسخ كتاب «تاريخ بغداد»[٤]. ولو جمعنا أجزاءَ هذينِ الكتابينِ لتثاقلَ ـ أو لعجز ـ كثيرٌ منَّا عن حملها، فكيف بمن كتبها ورتَّبها وهذَّبها؟

(١) الجواهر والدرر في ترجمة ابن حجر للسخاوي (١/١٦٢ ـ ١٦٣).
(٢) بستان العارفين للنَّووي (١١٤ ـ ١١٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (٢١/٤٤)، ذيل طبقات الحنابلة (١/٣٢٦).
(٤) تذكرة الحفاظ (٤/١٢٨٣).

* الإمام المزني من همته رحمه الله أنه قرأ كتاب «الرِّسالة» في أصول الفقه للشافعي خمسينَ مرَّةً[(١)].

* عبدالله بن محمَّد، فقيه العراق: طالع كتاب «المغني» ثلاثًا وعشرينَ مرَّةً[(٢)].

* قال الحرّ بن عبدالرَّحمن: طلبتُ إعراب القرآن خمسًا وأربعينَ سنةً، أو أربعين سنةً[(٣)].

* وعن عُقبةَ بن الحارث أنه تزوَّج ابنةً لأبي إهاب بن عزيز فأتتهُ امرأةٌ فقالت: قد أرضعتُ عقبةَ والتي تزوَّج. فقال لها عُقبة: ما أعلم أنكِ أرضعتِني ولا أخبرتِني، فأرسلَ إلى آل أبي إهاب يَسألُهم فقالوا: ما عَلِمنا أرضعتْ صاحبتَنَا، فركب إلى النبيِّ ﷺ بالمدينة فسألهُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**كيف وقد قيل؟**» ففارقَهَا ونكَحَت زوجًا غيرَهُ[(٤)].

* محمَّد بن أحمد بن قدامة: كتبَ بخطِّه أشياءَ كثيرةً: فكتب «تفسير البغوي»، و«المغني»، و«حلية أبي نعيم»، و«الإبانة» لابن بَطّة، و«الخرقي»، وكتب مصاحف كثيرةً[(٥)].

* قال إبراهيم الجوهري: كُلّ حديثٍ لا يكونُ عندي من مائةِ وجهٍ

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٢/٩٩).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٢/٤١١).

(٣) التاريخ الكبير للإمام البخاري (٣/٨٢).

(٤) رواه البخاري في كتاب الشهادات، باب إذا شهد شاهد أو شهود بشيء فقال آخرون: ما علمنا ذلك، يُحكم بقول من شهد، رقم الحديث (٢٦٤٠).

(٥) ذيل طبقات الحنابلة (٢/٥٣).

فأنا فيه يتيم(١). فهو يَرحَلُ لأجل الطلب والتتبُّع والاستقراء حتَّى يَجمَعَ أكبر قدرٍ من الطرُق.

❁ أبو الحصين الأسدي: كان يَبذِلُ نفسَهُ للتعليم، فقد جلس خمسينَ سنةً في مسجدٍ واحدٍ يُعلِّم النَّاسَ ويُفَقِّهُهم في دين الله(٢). ولم تَفتُر له عزيمة، ولم تُكسَر له قَناة. وليس هذا بغريب، فإذا اجتمع صدق النِّية وبذل السَّبب يسَّر اللهُ ما كان عسيرًا، وقرَّبَ ما كان بعيدًا.

❁ خلف بن هشام: قال حمدان بن هانئ المقرئ: سمعتُه يقول: «أشكلَ عليَّ بابٌ من النَّحو، فأنفقتُ فيه ثمانيةَ آلاف درهم حتى حَذقته»(٣).

❁ أبو الوفاء بن عَقيل الحنبلي: ذكرَ الذهبيُّ في كتاب «معرفة القرَّاء الكبار»: أنه ألّف «كتاب الفنون» وقد بلغ أربعمائة وسبعينَ مجلدًا!(٤).

❁ زيد بن الحسن الكندي: ذكر الذهبيّ أنه قرأ بالقراءات العشر وعُمره عشرين سنة! قال الذهبي: «وما علمتُ هذا وَقَعَ لأحدٍ أصلًا»(٥).

❁ قالون: بلغ حفظُه للقرآن مَبلغًا عَظيمًا. قال علي بن الحسن الهسنجاني: «كان شديدَ الصَّمَم، وكان يَنظُر إلى شَفَتي القارئ ويَرُدّ!». وهكذا ذكر النَّقَلَة(٦).

---

(١) تذكرة الحفاظ (٢/٥١٦).

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (٧/١٢٧).

(٣) معرفة القرَّاء الكبار للذهبي (١/١٧٢)، سير أعلام النبلاء (١/٥٧٨).

(٤) معرفة القرَّاء الكبار (١/٣٨٠).

(٥) معرفة القرَّاء الكبار (٢/٤٦٨).

(٦) سير أعلام النبلاء (١٠/٣٢٧)، معرفة القرَّاء الكبار (١/١٢٩).

* عمرو بن ميمون: قال الذهبي: «وكان يقول: لو علمتُ أنه بقي عليَّ حرفٌ من السُّنَّة باليَمَن لأتيتُها. قلتُ ـ أي الذهبي ـ: «هذه الدَّعوَى تدلّ على سعة علمه»[١].

* سعيد بن عبدالعزيز قال: «كنت أجلسُ بالغدوات إلى ابن أبي مالك، وأجالس بعد الظهر إسماعيل بن عُبيدالله، وبعد العصر مكحولًا»[٢].

* نعيم المجمر: جالسَ الصَّحابيَّ الجليل أبا هريرة رضي الله عنه عشرينَ سنةً متواليةً، فأصبح من أخصِّ تلاميذه[٣].

* عبدُالله بن نافع: جالسَ الإمامَ مالكًا خمسًا وثلاثينَ سنةً[٤]. وإذا أردت أن تعرف حصيلة هذه المجالسة فاقرأ ترجمته.

* الإمام إسماعيل الجرجاني: كان يَكتُب في كلِّ ليلةٍ تسعينَ ورقةً بخطٍّ دقيق. قال الذهبي: «هذا يُمكِنُه أن يَكتُب (صحيح مسلم) في أسبوع»[٥].

* عبدالله بن أحمد الخشاب: ذُكر عنه أنه اشترى يومًا كُتبًا بخمسَمائةِ دينارٍ ولم يَكُن عندهُ شيءٌ، فاستمهلهم ثلاثةَ أيام، ثمَّ مَضَى ونادَى على دارِه فبلغت خمسمائة دينار، فنقَدَ صاحبَها وباعَهُ بخمسمائة دينارٍ ووفَّى ثمنَ الكُتب، وبَقيَتْ لهُ الدَّار[٦].

(١) سير أعلام النبلاء (٣٤٦/٦)، تهذيب التهذيب (١٠٨/٨).
(٢) سير أعلام النُّبلاء (٣٣/٨).
(٣) سير أعلام النبلاء (٢٢٧/٥).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٠٨/٨).
(٥) سير أعلام النبلاء (٥٤/١٣).
(٦) ذيل طبقات الحنابلة (٣١٩/١).

* الحسن بن أحمد الهمداني: قال ابن الجوزي: «وبلغني أنه رُئي في المنام في مدينةٍ جميعُ جدرانها من الكُتب، وحَولَهُ كُتب لا تُحدّ وهو مُشتغِلٌ بمُطالعتها، فقيل له: ما هذه الكُتب؟ قال: سألتُ اللهَ تعالى أن يُشغِلني بما كنتُ أَشتغِلُ به في الدُّنيا فأعطاني»[(١)].

* أبو يوسف القاضي: قال تلميذُه القاضي إبراهيم بن الجرَّاح الكوفي ثمَّ المصري: مَرِضَ أبو يوسف، فأتيتُه أعودُه، فوجدتُه مُغمى عليه، فلمَّا أفاقَ قال لي: يا إبراهيمُ، ما تقول في مسألة؟ قلتُ: في مثل هذهِ الحالة؟! قال: ولا بأسَ بذلك، نَدرُس لعلهُ يَنجُو به ناج! ثمَّ قال: يا إبراهيم، أيُّما أفضلُ في رمي الجمار ـ أي في مناسك الحج ـ أن يَرميها ماشيًا أو راكبًا؟ قلتُ: راكبًا، قالَ: أخطأتَ، قلتُ: ماشيًا، قال: أخطأتَ. قلتُ: قل فيها يرضى اللهُ عنك! قال: أمَّا ما كان يُوقَفُ عنده للدُّعاء فالأفضلُ أن يَرمِيَهُ ماشيًا، وأمَّا ما كان لا يُوقَفُ عنده فالأفضلُ أن يَرمِيَهُ راكبًا. ثمَّ قُمتُ من عنده فما بلغتُ باب داره حتَّى سمعتُ الصُّرَاخَ عليه، وإذا هو قد مات، رحمة الله عليه[(٢)].

* محمَّد بن سلام البيكندي شيخ البخاري: كان في حال الطلب جالسًا في مجلس الإملاء والشيخ يُحدِّث ويُملي، فانكسرَ قلَمُ محمَّد بن سلام فأمر أن يُنادَى: قلمٌ بدينار![(٣)].

* قال الخليل بن أحمد (ما سمعت شيئاً إلا كتبته، ولا كتبته إلا

(١) ذيل طبقات الحنابلة (١/٣٢٨).
(٢) قيمة الزَّمَن عند العلماء لأبي غدة (٢٩).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/١٢٢).

حفظته، ولا حفظته إلا نفعني)[١].

❊ وقال الحافظُ ابنُ رجَب في ترجمة ابن الجوزي: «لم يَترُك فنًّا من الفُنون إلّا وله فيه مُصنَّف، وسُئل عن عدد تآليفه فقال: زيادة على ثلاثمائةٍ وأربعينَ مُصنَّفا، منها ما هو عِشرونَ مجلَّدًا، ومنها ما هو كُرَّاسٌ واحدٌ. وقال الموفق عبداللطيف: كان ابنُ الجوزي لا يُضيع من زمانه شيئًا، يَكتُب في اليوم أربعةَ كراريس، ويَرتفِعُ لهُ كُلَّ سَنةٍ مِن كتابته ما بينَ خمسينَ مُجلَّدًا إلى ستينَ»[٢].

❊ وقال ابنُ الوَرْدي: «قيل: إنَّه جُمعت الكراريسُ التي كتبها أبو الفَرَج ابن الجوزي، وحُسِبَت مُدَّة عُمره فقُسمت على المدَّة، فكان ما خصَّ كلّ يوم منها تسعة كراريس»[٣].

❊ ونقل القمي: «أنَّ بُرَاية أقلام ابن الجوزي التي كَتَب بها الحديث جُمعت فحصل منها شيءٌ كثيرٌ، وأوصى أن يُسخَّن بها الماءُ الذي يُغَسَّل به بعد موته، ففُعِل ذلك، فكَفَت وفَضَل منها»[٤].

❊ قال الذهبي: قال أبو المظفَّر سبط ابن الجوزي: سمعتُ جَدِّي يقول على المنبر آخِرَ عُمره: كتبتُ بإصبعيَّ هاتينِ ألفَي مجلَّد»[٥].

❊ الإمام محمَّد بن علي الشوكاني: كانت دُروسُه تَبلغُ في اليوم واللَّيلة

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/٣٣٥).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (١/٤١٢ ـ ٤١٣).

(٣) تتمَّة المختصر في أخبار البشر لابن الوردي (٢/٢١٨).

(٤) الكنى والألقاب للقمي (١/٢٤٢).

(٥) تذكرة الحفاظ (٤/١٣٤٤).

نحو ثلاثةَ عشر درسًا، منها ما يَأخُذه عن مشايخه، ومنها ما يَأخُذه عنهُ تلامذتُه، واستمرَّ على ذلك مدَّةً. ثمَّ إنَّه فرَّغ نفسه ـ من التلقِّي عن شيوخه ـ لإفادة الطلبة، فكانوا يأخذونَ عنهُ في كلِّ يوم زيادةً على عشرة دروس في فنون متعدِّدة، واجتمع منها في بعض الأوقات التفسير، والحديث، والأصول، والنَّحو، والصَّرف، والمعاني، والبيان، والمنطق، والفقه، والجدَل، والعَرُوض[١].

* الإمام المفسِّر أبو الثَّناء شهاب الدِّين محمود بن عبدالله الآلوسي البغدادي: كان حريصًا على أن يَزيد عِلمهُ كلَّ لحظة، لا يَفتُر عنِ اكتساب الفوائد، واقتناص الشوارد، فكان نهارُه للإفتاء والتدريس، وأولُ ليلهِ لمنادَمةِ مُستفيدٍ أو جليسٍ، ويَكتُب بأواخِرِ الليل ورقاتٍ من تفسيره، فيُعطيها صباحَ اليوم التالي للكُتَّاب الّذين وظّفَهم في داره، فلا يُكمِلُونها تبييضًا إلَّا في عشر ساعاتٍ. وكان يدرس في اليوم أربعةً وعشرينَ درسًا ـ كذا ـ، وكان في أيام اشتغاله بالتفسير والإفتاء يدرس في اليوم ثلاثةَ عَشَر درسا في كُتب مُطوَّلة، وكان يُؤلِّف حتَّى في مرضه الأخير[٢].

* القاضي أبو بكر محمَّد بن الطيِّب الباقلاني: كان وِرْدُه كلَّ ليلةٍ عشرينَ ترويحة، ولا ينامُ حتَّى يَكتُب خمسًا وثلاثينَ ورقةً من حفظه[٣].

* قال عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «واللهِ الذي لا إله غيرُه ما أُنزِلت سورةٌ من كتاب الله إلَّا أنا أعلمُ أينَ أُنزِلت، ولا أُنزِلَت آيةٌ من كتاب الله إلّا

---

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني (٢/٢١٩).
(٢) المسك الأذفر للألوسي (٨).
(٣) الديباج المذهب لابن فرحون (٢/٢٢٨).

أنا أعلمُ فيمَ أُنزِلت، ولو أعلمُ أحَدًا أعلمُ منِّي بكتاب الله تَبلُغُه الإبلُ لركبتُ إليه»[(١)].

* قال الإمامُ ابنُ حزم: «وأُحَدِّثُك في ذلك بما نَرجُو أن يَنتفِعَ به قارؤه إن شاء الله تعالى؛ ذلك أنِّي كنتُ مُعتَقَلًا في يد المُلقَّب بالمستكفي محمَّد بن عبد الرَّحمن بن عُبيدالله بن الناصر في مُطبق[(٢)]، وكنتُ لا آمَنُ قَتلَهُ؛ لأنه كان سُلطانًا جائرًا ظالمًا عاديًا قليلَ الدِّين كثيرَ الجهل غير مأمونٍ ولا مُتثبِّت، وكان ذَنبُنا عندهُ صُحبَتُنا للمُستظهِر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكان العيَّارُونَ قد انتزوا بهذا الخاسر على المُستظهِر فقَتَلَهُ واستولى على الأمر واعتقلنا حيثُ ذكرنا. وكنتُ مُفكِّرًا في مسألةٍ عويصةٍ من كُلِّياتِ الجُمَل التي تَقَعُ تحتَها معانٍ عظيمةٍ كَثُرَ فيها الشَّغَبُ قديمًا وحديثًا في أحكام الدِّيانة، وهي متصرِّفةُ الفروع في جميع أبواب الفقه، فطالت فِكرتي فيها أيامًا ولياليَ، إلى أن لاح لي وَجهُ البيان فيها وصحَّ لي وحقَّ يَقينًا في حُكمها وانبلج، وأنا في الحال الذي وصفتُ، فبالله الذي لا إلهَ إلَّا هو الخالقُ مُدَبِّرُ الأمور كُلِّها أُقْسِمُ، الذي لا يَجُوزُ القَسَمُ بسِوَاه، لقد كان سُرورِي يَومئذٍ وأنا في تلك الحال بَظَفَرِي بالحقِّ فيما كنتُ مَشغُولَ البالِ به وإشراقِ الصَّواب لي أشَدُّ من سروري بإِطلاقِي ممَّا كُنتُ فيه، وما أَلَّفْنا كتابَنَا هذا ـ «التقريب لِحَدِّ المنطق» ـ وكثيرًا ممَّا ألَّفنا إلَّا ونحنُ مُغَرَّبُونَ مُبْعَدُونَ عنِ الوطن والأهل والوَلَد، مُخافُونَ مع ذلك في أنفُسِنَا ظُلمًا وعُدوانًا، لا نَستُر هذا بل نُعْلِنُه،

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ، رقم (٥٠٠٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، رقم (٢٤٦٣).

(٢) هو السجن ذي الدركات.

ولا نُمكن الطالب إبطال قولنا في ذلك، إلى الله نشكُو، وإيَّاهُ نَستحْكِمُ لا سواهُ، لا إلهَ إلّا هو»(١).

* وذكر الشيخ عبدالقيُّوم السحيباني: أنَّ بعض الشناقطة في المسجد النبويِّ حَدَّثوهُ أنَّهم إذا أرادوا حِفظَ درسٍ كرَّرُوه مائةَ مرَّةٍ(٢).

* قال ابنُ أبي حاتِم: سمعتُ أبي يقول: «أوَّل سَنةٍ خرجتُ في طلب الحديث أقمتُ سبعَ سنينَ أحصيتُ ما مَشيتُ على قدميَّ زيادةً على ألفِ فرسخ، لم أزل أُحصي حتَّى لمّا زاد على الألف فرسخ تَركتُه، كلّ ذلك ماشيًا، كلّ هذا في سفري الأوَّل، وأنا ابنُ عشرينَ سنةً أجولُ سبعَ سِنينَ، وخرجتُ المرَّةَ الثانيةَ سنةَ اثنتينِ وأربعينَ ورَجعتُ سنةَ خمسٍ وأربعينَ. وأمَّا ما كُنتُ سِرتُ مِنَ الكوفة إلى بغدادَ فما لا أُحصِي كم مرَّةً، ومِن مكَّةَ إلى المدينة مرَّاتٍ كثيراتٍ، وخرجتُ منَ البحر مِن قُرب مدينةِ سلا وذلك في المغرب»(٣).

* عن أبي هريرة ﵁ قال: «مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ»(٤).

---

(١) التقريب لحدِّ المنطق لابن حزم (١٨٤ ـ ١٨٥) تحقيق: أحمد فريد.
(٢) «الحفظ، أهميته، عجائبه، طريقته، أسبابه» للسحيباني (٦٠).
(٣) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي (١/٣٥٩).
والفرسخ بمشي القدم: نحوُ ساعةٍ ونصفٍ، وهو ثلاثةُ أميال، نحو خمسةِ كيلومترات، كما يستفاد من «معجم لاروس» العربي، في مادتي «الميل» و«الباع»، وقدَّره بعضُهم بأكثرَ مِن خمسةِ كيلومترات، كما بَسَط ذلك الأستاذ أحمد الحسيني في كتابه «دليل المسافر» (٧ ـ ٢٢).
(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب كتابة العلم، رقم الحديث (١١٣).

* وقال الشَّعبيُّ: «إذا سمعتَ شيئًا فاكتُبه ولو في الحائط»(١).

* قال الحُمَيدي: «خرجتُ مع الشافعيِّ إلى مصرَ، فكان هُو ساكنًا في العُلو، ونحنُ في الأوساط، فرُبما خرجتُ في بعض اللَّيل فأرى المصباحَ فأَصيح بالغُلام فيَسمَع صوتي فيقول: بحقِّي عليك ارقَ، فأرقَى فإذا قرطاسٌ وحِبرٌ، فأقولُ: مَهْ يا أبا عبدالله؟ فيقول: تفكَّرتُ في معنى حديثٍ أو في مسألةٍ فخفتُ أن يَذهَبَ عليَّ فأمرتُ بالمصباح وكتبتُه»(٢).

* وقال مَعْمَر: «حَدَّثتُ يحيى بنَ أبي كثير بأحاديث، فقال لي: اكتُب لي حديثَ كذا، وحديثَ كذا، فقلتُ: إنَّا نَكرَهُ أن نَكتُبَ العلم، قال: اكتُب فإنَّك إن لم تكن كتبتَ فقد ضيَّعتَ، أو قال: عَجَزت»(٣).

* وقال عبدالرَّحمن بن مهدي: «رُبما كنتُ أُمَاشي عبدَالله بنَ المبارك فأُذَكِّرُه بالحديث فيقول: لا تبرح حتَّى أَكتُبه»(٤).

* وقال أبو الزِّناد: «كُنَّا نكتُب الحلالَ والحرام، وكان ابنُ شِهاب يَكتُب كلّ ما سَمِعَ، فلمَّا احتيجَ إليه علمتُ أنه مِن أعلمِ النَّاس»(٥).

* قيل لابن المبارك: إلى كم تَكتُب الحديث؟ قال: لعلَّ الكلمةَ التي أَنتفِعُ بها لم أَسمَعها بعدُ(٦).

---

(١) كتاب العلم لأبي خيثمة (٣٤).
(٢) مناقب الشافعي لابن أبي حاتم (٤٣ ـ ٤٥)، المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (٢٨٦).
(٣) المصنَّف لعبد الرزاق الصنعاني (٢٥٩/١١) رقم (٢٠٤٨٨).
(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني (٣/٩).
(٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١٨٨/٢)، سير أعلام النبلاء (٣٣٢/٥).
(٦) شرف أصحاب الحديث (٦٨).

* قال الحسن بن منصور الجصَّاص: قلتُ لأحمدَ بنِ حنبل: إلى متى يَكتُب الرَّجُل الحديث؟ قال: حتَّى يَمُوتَ[١].

* وقال عبدالله بن محمد البغوي: سمعتُ أبا عبدالله أحمدَ بنَ حنبل يقول: أنا أطلُب العلم إلى أن أُدخَل القبرَ[٢].

* وقال الفيروزآبادي في سياق شُروط تَعلّم المتعلِّم: «ألّا يَعتَقِدَ في علمٍ أنه حَصَلَ منه على مِقدارٍ لا تُمكِنُ الزِّيادةُ عليه، فذلك جهلٌ يُوجِبُ الحِرمانَ، نعوذ بالله منه»[٣].

* وقال الخطيب البغدادي: «فإن قال قائلٌ: درسُ الفقه إنَّما يكونُ في الحداثة وزمن الشَّبيبة؛ لأنه يَحتاجُ إلى المُلازَمة وشدَّة الصَّبر عليه والمداومة، ولا يَقدِرُ على ذلك مَن عَلَتْ سِنُّهُ، ولا يَطمَعُ فيه مَن مَضَى أكثرُ عُمره؟ قيل: ليسَ ممَّا ذكرت مانعٌ مِن طَلَبِه، ولأَنْ تَلقَى اللهَ طالبًا للعلم خيرٌ مِن أن تَلقَاهُ تارِكًا لهُ زاهِدًا فيه، راغبًا عنه»[٤].

* قال أبو العالية: «كُنَّا نسمعُ الرِّوايةَ عن أصحاب رسول الله ﷺ ونحنُ بالبصرة، فما نَرضَى حتَّى نَركَبَ إلى المدينة فنَسْمَعَهَا من أفواهِهِم»[٥].

* قال أبو حامد الإسفراييني: «لو رحل رجل إلى الصين حتى

(١) شرف أصحاب الحديث (٦٨).

(٢) شرف أصحاب الحديث (٦٨).

(٣) بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (٥٢/١).

(٤) الفقيه والمتفقِّه للخطيب البغدادي (٨٥/٢).

(٥) الكفاية في علم الرِّواية للخطيب البغدادي (٤٠٣).

يحصل له كتاب «التفسير» لمحمَّد بن جرير لم يَكُن ذلك كثيرًا»[١].

* خرجَ الشَّعبيُّ مِنَ الكوفة إلى مكَّة في ثلاثةِ أحاديثَ ذُكِرَت له، فقال: لَعَلِّي أَلقَى رجُلًا لَقِيَ النبيَّ ﷺ أو من أصحاب النبيِّ ﷺ[٢].

* كان إسحاقُ بن منصورٍ الكَوْسَج فقيهًا عالمًا، وهو الذي دَوَّنَ عن الإمام أحمدَ «المسائل» في الفقه. قال حسان بن محمَّد: سمعتُ مشايخَنا يَذكُرون أنَّ إسحاقَ بنَ منصور بَلَغهُ أنَّ أحمد بن حنبل رَجَعَ عن تلك «المسائل» التي عَلَّقها عنهُ، فجمع إسحاقُ بن منصور تلك «المسائل» في جِرَاب، وحملها على ظهره، وخرج راجِلا إلى بغداد وهي على ظهره، وعرض خطوط أحمد عليه في كُلِّ مسألةٍ استفتاهُ فيها، فأقرَّ لهُ بها ثانيًا، وأُعجِبَ أحمدُ بذلك من شأنه[٣].

* قال الدكتور فؤاد سزكين في ترجمة بَقِيّ بن مَخْلَد: «وقام بَقِيُّ بنُ مخلَد القرطبيُّ برحلتينِ، إلى مصر والشام والحجاز وبغداد، طالبًا للعلم، امتدت الرِّحلةُ الأولى أربعةَ عشرَ عامًا، والثانيةُ عشرينَ عامًا»[٤].

ولا تنسَ أن ارتحاله كُلَّه كان من الأندلس، وعلى قدميه كما صرَّحَ هو بذلك. قال رحمه الله: «كُلُّ مَن رَحَلتُ إليه فماشيًا على قَدَميَّ، وكُلّ مَن سمعتُ

(١) طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصَّلَاح (١٠٩/١).
(٢) المحدِّث الفاصل بين الرَّاوي والواعي (٢٢٤).
(٣) طبقات الحنابلة (١١٤/١)، تذكرة الحفاظ (٥٢٤/٢)، المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد (٢١٣/١). وفي المكتبة الظاهرية بدمشق نسخةٌ مخطوطة من «مسائله» التي دَوَّنَها عن الإمام أحمد.
(٤) تاريخ التراث العربي للدكتور/ فؤاد سزكين (٢٣٨/١).

منه في البلدان ماشيًا على قَدَمَيَّ. قال تلميذُه أبو عبدالملك أحمد بن محمَّد القرطبي: «كان بَقِيٌّ طوالًا، قويًّا جَلْدًا على المشي، لم يُرَ راكبًا دابَّةً قطّ، متواضعًا مُلازِمًا لحضور الجنائز»[١].

❋ وقال الإمامُ أحمد: «بمصرَ صحيفةٌ في التفسير رواها عليُّ بنُ أبي طلحةَ لو رَحَلَ رجُلٌ فيها إلى مصرَ قاصدًا، ما كان كثيرًا»[٢].

❋ وقال خُزَيمةُ بن علي المروزي الأديب: «سقطت أصابعُ عُمَر الرواسي في الرِّحلة من شِدَّة البرد»[٣].

اقرأ ما ترى وتفكَّر! كيف تجشَّمَ وتحمَّل وصبر، كأنّ العلم عنده أغلى ممَّا فَقَد، فالله يُعَوِّضُه ذلك في جنَّة عدن، مع النبيِّينَ والصِّدِّيقينَ والشهداءِ، وحَسُنَ أولئك رفيقًا.

❋ قال ابنُ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَمَّا قُبِض رسولُ الله ﷺ وأنا شابٌّ، قلتُ لشابٍّ مِنَ الأنصار: هَلُمَّ فلنسأل أصحابَ رسول الله ﷺ ولنتعلّم منهُم، فإنَّهمُ اليومَ كثيرٌ، فقال: يا عجبًا لكَ يا ابنَ عبَّاس! أتُرَى النَّاسَ يحتاجُونَ إليك وفي النَّاس مِن أصحاب رسول الله ﷺ مَن فيهم[٤]؟ قال: فتركتُ ذاك، وأقبلتُ أنا على المسألة وتَتبُّع أصحاب رسول الله ﷺ، فإن كنتُ

(١) تذكرة الحفاظ (٢/٣٦٠)، سير أعلام النبلاء (١٣/٢٩١).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (٨/٤٣٨).

(٣) تذكرة الحفاظ (٤/١٢٣٨).

(٤) يعني: في النَّاس كثرةٌ من أصحاب رسول الله ﷺ الذين عاشروهُ وسمعوا منه، فلا يَحتاجُ النَّاسُ إلى مثلك مع وجود أولئك الأصحاب، فطلبُك للعلم لا يَنتفِعُ به النَّاس؛ لاستغنائهم بالعلماء الكبار.

لَآتي الرَّجُلَ في الحديث يَبلُغُني أنه سَمِعَهُ من رسول الله ﷺ فأجده قائِلًا ـ أي: نائمًا في مُنتصَف النَّهار ـ فأتوسَّدُ رِدائي على بابه، فتُسْفِي الرِّيحُ على وَجهي التراب حتَّى يَخرُجَ، فإذا خَرَجَ قال: يا ابنَ عمِّ رسول الله، ما جاء بك؟ هَلَّا أرسلتَ إليَّ فآتيك؟ فأقولُ: لا، أنا أَحَقُّ أن آتيكَ، بَلَغَني حديثٌ عنك أن تُحَدِّثه عن رسول الله ﷺ فأحببتُ أن أسمَعَهُ منك. فكان الرَّجُل بعدَ ذلك يَراني وقد ذهب أصحابُ رسول الله ﷺ واجتمعَ حولي النَّاسُ يَسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقلَ مِنِّي»(١).

* قال ابن عباس رضي الله عنهما: «وجدتُ عامَّة علم رسول الله ﷺ عند هذا الحيِّ مِنَ الأنصار، إن كنتُ لَأَقِيلُ بباب أحَدِهم، ولو شئتُ أن يُؤْذَنَ لي عليه لَأذِن لي، ولكن أبتغي بذلك طِيبَ نفسه»(٢).

* قال عُروةُ: «لقد كان يَبلُغُني عنِ الرَّجُل مِنَ المهاجرينَ الحديثُ، فآتيه فأجدُه قد قَالَ ـ أي نامَ واستراحَ وَقتَ القيلولةِ في منزله ـ، فأجلس على بابه، فأسأله عنه، يعني إذا خرج»(٣).

* قال سعيدُ بن جُبَير: «كنتُ أَسيرُ مع ابن عبَّاس في طريق مكَّة ليلًا،

(١) سير أعلام النبلاء (٣/٣٤٢ ـ ٣٤٣)، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (٤/١٤٤ ـ ١٤٥).
وكان عبدالله بن عباس رضي الله عنهما لا يَفتُر عن كتابة العلم وتحصيله. حدَّث الفضل بن محمَّد، عن أبيه، عن جدِّه قال: قيل لعبدالله بن عبَّاس: كم تَكتُب العلم؟! قال: إذا نشطتُّ فهو لذَّتي، وإذا اغتممتُ فهو سَلوتي. بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم الحلبي (٥/٢٤٨٠).
(٢) كتاب العلم لابن أبي خيثمة (١٤١).
(٣) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي (٤/٣٢).

وكان يُحدِّثُني بالحديث فأكتُبه في واسطةِ الرَّحل، حتَّى أُصْبِح فأكتُبه»[١].

* قال ابن منيع: سمعت جدِّي يقول: مرَّ أحمدُ بن حنبل جائيًا من الكوفة، وبيده خريطةٌ ـ هي الكيسُ له خيطٌ يُحيطُ بفَمِه يُشدّ فيغلق ـ فيها كُتب، فأخذتُ بيده فقلتُ: مرَّةً إلى الكوفة! ومرَّةً إلى البصرة! إذا كتبَ الرَّجُلُ ثلاثينَ ألفَ حديثٍ لم يَكْفِه؟ فسَكَتَ، ثمَّ قلتُ: سِتِّينَ ألفًا؟ فسكتَ، فقلتُ: مائةَ ألفٍ، فقال: حينئذٍ يَعرِفُ شيئًا. قال أحمدُ بنُ مَنِيع: فنظرنا فإذا أحمدُ كتبَ ثلاثَمِائَةِ ألفٍ[٢].

* قال ابنُ كثير عن الإمام البخاري: «رحل إلى سائر مشايخ الحديث في البلدان التي أمكنتهُ الرِّحلةُ إليها، وكتبَ عن أكثرَ مِن ألف شيخ»[٣].

* قال محمَّد بن يوسف: «كنتُ مع محمَّد بن إسماعيل ـ البُخاري ـ بمنزله ذاتَ ليلةٍ، فأحصيتُ عليه أنه قام وأسرجَ يَستَذْكِرُ أشياءَ يُعَلِّقُها في ليله ثمانِ عشرةَ مرَّةً»[٤].

* وقال محمَّد بن أبي حاتم وَرَّاقُ البُخاري: «كان أبو عبدالله ـ البُخاري ـ إذا كنتُ معه في سَفَر يَجمَعُنا بيتٌ واحدٌ إلَّا في القيظ أحيانًا، فكنتُ أراهُ يَقوم في ليلةٍ واحدةٍ خمسَ عشرةَ مرَّةً إلى عشرينَ مرَّةً، في كُلِّ ذلك يَأْخُذ القَدَّاحة فيُورِي نارًا ويُسْرِج، ثمَّ يُخرِج أحاديثَ فيُعْلِم عليها، ثمَّ يَضَعُ رأسَهُ، وكان يُصَلِّي وقتَ السَّحَر ثلاثَ عَشْرَةَ ركعةً، وكان لا يُوقِظُني

(١) سنن الدَّارِمي (١/١٠٥).
(٢) مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي (٥٢).
(٣) البداية والنهاية لابن كثير (١١/٢٥).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٢/٤٠٤).

في كُلِّ ما يقومُ، فقلتُ له: إنَّك تَحمِلُ على نَفسك في كُلِّ هذا ولا تُوقِظُني. قال: أنت شابٌّ، ولا أحِبُّ أن أُفسِد عليك نَومَكَ»[١].

* قال المالكي: كانت لمحمَّد بن سُحنون سُرِّيَة ـ أي أَمَةٌ مملوكة ـ يقال لها: أم مدام، فكان عندها يومًا، وقد شُغِلَ في تأليف كتابٍ إلى الليل، فحَضَرَ الطعامُ فاستأذنتهُ ليأكلَ فقال لها: أنا مشغولٌ السَّاعَةَ. فلمَّا طال عليها جَعَلَتْ تُلْقِمُهُ الطعامَ حتَّى أتت عليه، وتمادَى هُو على ما هو فيه إلى أن أَذَّن لصلاةِ الصُّبح، فقال: شُغِلنا عنكِ اللَّيلةَ يا أمَّ مدام، هاتِ ما عندكِ، فقالت: قد واللهِ يا سيِّدِي ألقمتهُ لك، فقال لها: ما شعرتُ بذلك[٢].

* قال أبو زكريا يحيى بنُ محمَّد بن يحيى الذُّهْلي: «دخلتُ على أبي في الصَّيف الصَّائف وقتَ القائلةِ، وهو في بيتِ كُتبه، وبينَ يديهِ السِّرَاجُ ـ لِظُلمةِ الحُجرة التي هو فيها في وَسَطِ النَّهار! ـ فقلتُ: يا أبتِ، هذا وقتُ الصَّيف، ودُخانُ هذا السِّراج بالنَّهار يَضُرُّك! فلو نَفَّستَ عن نَفسك؟ فقال لي: يا بُنَيَّ تقولُ لي هذا! وأنا مع رسول الله ﷺ ومع أصحابه والتابعين؟!»[٣].

* قال عليُّ بنُ أحمدَ الخوارزميُّ: قال ابنُ أبي حاتم: «كنَّا بمصرَ سبعةَ أشهُر لم نأكل فيها مَرقةً، نهارَنا ندورُ على الشيوخ، وبالليلِ ننسَخُ ونُقابِل، فأتينا يومًا أنا ورفيقٌ لي شيخَنا فقالوا: هو عَليلٌ، فرأيتُ سمكةً أعجبتنَا فاشتريناها، فلمَّا صِرنا إلى البيت حَضَرَ وقتُ مجلس بعض الشيوخ

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٤/٢).

(٢) ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (١١٤/٣).

(٣) تاريخ بغداد (٤١٩/٣)، تهذيب الكمال للمزي (١٢٨٧/٣).

فمَضَينا، فلم تَزَلِ السَّمَكةُ ثلاثةَ أيام، وكادت أن تُنتِنَ! فأكلناها نيِّئةً لم نتفرَّغ لشَوْيِهَا! ثمَّ قال: لا يُستطاعُ العلمُ براحة الجسد»(١).

* جاء في ترجمة أبي عمر أحمد بن عبدالملك الإشبيلي: «كان قد حُبِّبَ إليه الدَّرسُ مُدَّةَ عُمره، لا يَفتُر عنهُ لَيلَهُ ونهارَهُ، وجُعِلت فيه لذَّتُه»(٢).

* ذُكِر أنَّ صديقًا لأحمدَ بن عبدِالملك الإشبيلي قَصَدَهُ في عيدٍ زائرًا لهُ، فأصابهُ داخل داره، ودربُه مفتوحٌ، فجلس يَنتظِرُه وأبطأ عليه، فأوصى إليهِ فخَرَجَ وهو يَنظُر في كتابٍ، فلم يَشعُر بصديقه حتَّى عَثَر فيه؛ لاشتغالِ باله في الكتاب، فتنبَّهَ حينئذٍ لهُ وسَلَّم عليه، واعتذرَ لهُ مِن احتباسه بشُغله بمسألةٍ عويصةٍ لم يُمكِنهُ تَركُها حتَّى فتحهَا الله عليه. فقال لهُ الرَّجُل: في أيام عيدٍ، ووقتَ راحةٍ مسنونة؟ فقال: إذا عَلَتْ هذه النَّفسُ انصبَّت إلى هذه المعرفة، واللهِ ما لي راحةٌ ولا لذَّةٌ في غيرِ النَّظَر والقراءة(٣).

* قال يعقوبُ بن سفيان: أقمتُ في الرِّحلةِ ثلاثينَ سنةً، وكنتُ في رحلتي فقَلَّتْ نَفَقتي! فكنتُ أُدمِنُ الكتابةَ لَيلًا، وأقرأُ نَهارًا، فلمَّا كانت ذاتَ ليلةٍ كنتُ جالسًا أَنسَخُ في السِّراج، وكان شتاء، فنزلَ الماءُ في عيني فلم أُبصِرْ شيئًا! فبكيتُ على نفسي لانقطاعي عن بَلَدِي، وعلى ما فَاتَنِي مِنَ العلم! فغلبتني عينايَ، فرأيتُ النبيَّ ﷺ في النَّوم، فناداني: يا يعقوب، لِمَ أنتَ بَكيتَ؟ فقلتُ: يا رسول الله، ذَهَبَ بَصَري فتحسَّرتُ على ما فاتني، فقال لي: ادْنُ منِّي، فدنوتُ منهُ فأَمَرَّ يَدَهُ على عَينَيَّ كأنهُ يَقْرَأُ عليهما، ثمَّ

(١) تذكرة الحفاظ (٣/٨٣٠).
(٢) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٤/٦٣٦).
(٣) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٤/٦٣٦).

استيقظتُ فأبصرتُ، فأخذتُ نُسَخِي وقعدتُ أكتُب[١].

* عن أبي قلابة قال: أقمت في المدينة ثلاثاً ما لي بها حاجة إلا قدوم رجل بلغني عنه حديث، فبلغني أنه يقدم، فأقمت حتى قدم، فحدثني به[٢].

* قال إبراهيمُ الحربي: «أفنيتُ مِن عُمري ثلاثينَ سنةً برَغيفينِ، إن جاءتني بهما أمِّي أو أختي أكلتُ، وإلّا بَقيتُ عطشانَ جائعًا إلى الليلةِ التالية»[٣].

* قال الإمام السَّمعاني: «وأعجبُ ما مرَّ بي في الكتابة على غير القرطاس ما أخبرني أبو جعفرٍ حنبلُ بنُ عليّ الصُّوفي بجامع هَرَاةَ، أنا أبو الفتح ناصر بن الحسين السِّجْزِي، أنا أبو القاسم عليُّ بن طاهر الشُّرُوطيّ، أنا أبو عُمَر محمَّد بن أحمد بن سليمان النوقاتي، ثنا الحسين بن أحمد، ثنا محمَّد بن القاسم، ثنا أبو عبدالله المقرئ المعروف بالجعل قال: قال لي عُبيد بن عبدالواحد بن شريك: حضرتُ مجلسًا كَثُرَ ازدحامُ النَّاس فيه فأحسستُ في قَفَايَ بحَكَّةٍ وحركةٍ، فلمَّا أردت الانصراف إذا برجُل يُجْلِسُني، فقلتُ: ما لَكَ؟! فقال: اجْلِس، فإنِّي قد كتبتُ المجلسَ في قفاكَ فانتظرني حتَّى أُقابِل به!»[٤].

* قال شريك القاضي: «كنتُ بالكوفة أضربُ اللَّبن وأبيعهُ وأشتري

---

(١) الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي (٢٠٧).

(٢) الرحلة في طلب الحديث (١١٢).

(٣) تاريخ بغداد (٣١/٦)، طبقات الحنابلة (٨٦/١ ـ ٨٧)، إنباه الرُّواة على أنباه النحاة للقفطي (١٩١/١).

(٤) أدب الإملاء والاستملاء (١٦٥).

دفاترَ وطُرُوسًا فأكتُب فيها العلمَ والحديث»[١].

* قال أبو عُبَيد: كنتُ في تصنيفِ هذا الكتاب أربعينَ سنةً، وربما كنتُ أستفيدُ الفائدةَ من أفواهِ الرِّجال فأَضَعها في مَوضِعِها مِنَ الكتاب، فأبِيت ساهرًا فرحًا منِّي بتلك الفائدة، وأَحَدُكم يَجِيئُني فيُقيمُ عندي أربعةَ أشهُر، خمسةَ أشهُر، فيقولُ: قد أقمتُ الكثيرَ![٢]

* قال ابنُ كثير صاحبُ «التفسير»: لا زِلتُ أكتُب والسِّراجُ ينونص حتَّى ذَهَبَ بصري معهُ، ولعلّه أن يُقَيَّضُ لهُ مَن يُكمِلُه[٣]. وكان ابنُ كثير يَشتَغِلُ في «جامع المسانيد والسُّنَن»، رتَّبَ «مسند أحمد» وأضاف إليه الكتُب السِّتَّة و«معجم الطبراني الكبير» و«مسند البزَّار» و«مسند أبي يعلى».. وفَقَدَ بَصَرَهُ وتَعِبَ فيه تَعَبًا عظيمًا.

* محمَّد بن إسحاق ابن منده: بَقِيَ في الرِّحلةِ بضعًا وثلاثينَ سنةً... ثمَّ رَجَعَ إلى بلده وقد صار في عَشْرِ السَّبعينَ، فوُلِدَ لهُ أربعةُ بَنينَ[٤].

* في «سنن أبي داود»[٥]: أنَّ مكحولا رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «كنتُ عبدًا بمصرَ لامرأةٍ من بني هُذَيل، فأعتقتني، فما خرجْتُ من مصرَ وبها عِلْمٌ إلا حَوَيْتُ عليه فيما أُرَى، ثم أتيتُ الحجازَ فما خرجتُ منها وبها علمٌ إلا حَوَيْتُ عليه

---

(١) تاريخ بغداد (٩/٢٨٠).
(٢) تاريخ بغداد (١٢/٤٠٧). والكتاب الذي كان يُصنِّفُه أبو عُبيد هو «غريب الحديث».
(٣) المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد لشمس الدين ابن الجزري (٢٣).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٧/٣٦ ـ ٣٧). تزوَّج وهو شيخ لانشغاله بالعلم في شبابه!
(٥) رواه أبو داود في كتاب الجهاد، باب فيمن قال: الخمس قبل النفل، رقم الحديث (٢٧٥٠)، وصحَّحه الألباني.

فيما أُرَى، ثم أتيتُ العراق فما خرجت منها وبها علمٌ إلا حَوَيْتُ عليه فيما أُرَى، ثم أتيتُ الشام فَغَرْبلْتُها، كلُّ ذلك أسأل عن النَّفَل...» من ميزات هذه القصَّة أنَّ أبا داود ذكرها بالسَّنَد.

* قال ابنُ كثير: ابن الشِّحنة قُرِئ عليه «البُخاري» نحوًا من ستِّينَ مرَّةً، وسمعنا عليه نحوًا من خمسمائة جزءٍ[١].

* إسحاق بن محمَّد بن المؤيد بن علي، أبو محمَّد الهمذاني ثمَّ المصري: كتبَ في آخِر جُزءِ إجازةٍ بخطِّه: «وذِكرُ سماعاتي يَطولُ جدًّا، والزمانُ على ضِيق، وما كُلُّ ما سمعتُ يَحضُرُني إسنادُه، فمشايخي ـ بحمد الله ـ قد جاوزوا الألفَ، فلو شَرَعتُ أذكرُ عن كلِّ شيخ ولو جزءًا واحدًا لَمَلَّ النَّاظِرُ فيه، نسأل الله تعالى أن يَنفعَنَا وإيَّاك، ويجعل ما تعلّمناهُ يُقرِّبنا لديه بمَنِّهِ وطَوْلِه، إنَّهُ سميعٌ مُجيبٌ. كتبهُ إسحاقُ بن محمَّد بن المؤيَّد ابن علي الهمذاني ثمَّ المصري بخطِّه بالموصل، سلخَ شعبانَ سنةَ عشرينَ وستِّمائة»[٢].

* قال ابنُ القيِّم رحمه الله: «حدَّثني أخو شيخِنا عبدُالرَّحمن بنُ تيميةَ عن أبيه قال: كان الجدُّ إذا دَخَل الخلاءَ يقول لي: اقرأ في هذا الكتاب وارفعْ صوتَك حتَّى أسمعَ، وأعرف من أصابه مرض من صداع وحمّى وكان الكتابُ عند رأسه، فإذا وَجَدَ إفاقةً قَرأ فيه، فإذا غُلِبَ وَضَعَهُ فدخل عليه الطبيبُ يومًا وهو كذلك فقال: إنَّ هذا لا يَحِلّ لكَ فإنَّك تُعِينُ على نفسِك وتكونُ سببًا لفواتِ مَطلُوبك»[٣].

---

(١) البداية والنهاية (١٤/١٥٧).

(٢) تاريخ إربل لابن المستوفي (٣٥٧).

(٣) روضة المحبِّين لابن قيم الجوزية (٧٠).

* قال ابنُ القيِّم رحمه الله: «حدَّثني شيخُنا قال: ابتدأني مَرضٌ فقال لي الطبيبُ: إنّ مُطالعتَكَ وكلامَكَ في العلم يَزيدُ المرضَ، فقلتُ له: لا أصبرُ على ذلك، وأنا أُحاكِمُكَ إلى عِلمكَ؛ أليستِ النَّفسُ إذا فَرِحَتْ وسُرَّتْ قَوِيَتِ الطبيعةُ فدَفَعت المرضَ؟ فقال: بَلَى، فقلتُ له: فإنَّ نَفسي تُسَرُّ بالعلم فتَقْوَى به الطبيعةُ فأجدُ راحةً. فقال: هذا خارجٌ عن عِلاجنا، أو كما قال»(١).

* ذَكر الإمامُ الذهبيُّ في ترجمة عبدالغافر بن محمَّد النَّيسابُوري: أنَّ الحسن بن محمَّد السَّمرقندي الحافظَ قرأ عليه «صحيح مسلم» نيِّفًا(٢) وثلاثينَ مرةً، وقرأهُ عليه أبو سعيدٍ البحيري نيِّفًا وعشرينَ مرَّةً، هذا سِوَى ما قرأهُ عليه المشاهيرُ من الأئمَّة(٣).

* قال جعفر الخلدي: قلتُ لِمُطَيَّن: لِمَ لُقِّبتَ بهذا؟ قال: كنتُ صبيًّا ألعبُ مع الصِّبيانِ، وكنتُ أَطولَهُم، فنسبحُ ونخوض، فيُطَيِّنُونَ ظهري، فبَصُرَ بي يومًا أبو نُعَيم فقال لي: يا مُطَيَّن! لِمَ لا تَحضُر مجلسَ العلم؟ فلمَّا طلبتُ الحديث مات أبو نُعَيم، وكتبتُ عن أكثر من خمسِمائة شيخ(٤).

* قال أيُّوب بن سُوَيد: خرج الأوزاعي في بعث اليمامة، فأتى مسجدَها فصلّى، وكان يحيى بن أبي كثير قريبًا منهُ، فجَعَلَ يَنظُر إلى صلاته، فأَعجبتهُ، ثمَّ إنَّهُ جَلَس إليه وسألهُ عن بَلَدِه، وغير ذلك، فتركَ

---

(١) روضة المحبِّين (٧٠).
(٢) النيِّف: من واحدة إلى ثلاث. القاموس المحيط (٣/٢١٠).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٨/٢٠).
(٤) سير أعلام النُّبلاء (١٤/٤٢).

الأوزاعيُّ الدِّيوانَ، وأقام عندهُ مُدَّةً يَكتُبُ عنه، فقال لهُ: يَنبغي لك أن تُبادِرَ البصرةَ لعلك تُدرِكُ الحسَنَ وابنَ سِيرِينَ، فتأخُذَ عنهما. فانطلق إليهما، فوجد الحسن قد مات، وابنَ سيرينَ حيٌّ، فأخبرنا الأوزاعي: أنه دخل عليه فعادهُ، ومكث أيامًا ومات، ولم يسمع منه(١).

* قال الأعمشُ: إنّ الله ﷻ رَفَع بهذا القرآن أقوامًا، وأنا ممَّن رفعه الله بالقرآن، لولا ذاك لكان على عُنقي دَنّ صحناء أطوفُ بها في أزِقَّةِ الكوفة(٢).

* قال السَّمعاني: سألتُ إسماعيل الحافظ فقال: رحَلَ اليُونارتي إلى ابنِ خلفٍ الشِّيرازي وكان آخِرَ مَن رحل إليه، ثمَّ رَحل بعدهُ عبدالرَّحمن بن أحمد الباغباني مع أبيه فقال: دخلت نَيسابورَ وأنا أعدُو إلى بيتِ أحمدَ بن خلفٍ، فلقيتُ اليونارتيَّ فعاتبني وقال: تعالَ أُطعِمك أوَّلًا، فقدَّم طعامًا وأكلنا وأخرج لي مسموعاته من ابنِ خلف وقال: مات ودفنتُه، فقال عبدالرَّحمن: فكادت مَرَّارتي تنشقّ(٣).

* قال صالح بن محمَّد: ليس «كتاب المغازي» عند أحَدٍ أصحَّ منهُ عند زيادٍ، وزيادٌ في نفسه ضعيفٌ ولكن هو مِن أثبتِ النَّاس في هذا الكتاب، وذلك أنهُ باعَ مِن داره وخرجَ يَدُورُ مع ابنِ إسحاقَ حتَّى سمع منهُ الكتاب(٤).

* خَتَمَ رجُلٌ من أهل حُلوانَ من مشاهيرهم على حمزةَ القُرآنَ، فبعثَ

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١١/٧).

(٢) المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري (٣٤١/٢) رقم (٥٠٨). والدَّنّ: الإناء الكبير. والصَّحناء: إدامٌ يُتَّخَذ من السَّمَك مُصلِح للمعدة.

(٣) تذكرة الحفّاظ (١٢٨٧/٤). ويونارت: قرية على باب أصبهان.

(٤) تهذيب التهذيب لابن حَجَر (٦٤٩/١).

إليه بألفِ درهمٍ فقال لابنه: قد كنتُ أظنُّ لكَ عَقلًا! أنا آخُذُ على القرآنِ أجرًا؟! أرجو على هذا الفردوس(١).

❊ ولقد حُكي عن بعض أكابرِ العلماءِ أنه تكلّم يومًا في مسألةٍ وأصاب، فاستحسنهُ الحاضرونَ وقالوا: أحسنتَ والله! فقال: والله ما قيل لي أحسنت حتَّى احمرَّ وجهي من خَطَئي فيها كذا وكذا مرَّةً، أو كما قال(٢).

❊ قال أبو محمَّد علي بن أحمد بن حزم: كان أبو بكر محمَّد بن معاوية المعروف بابن الأحمر مُكثِرًا، ثقةً، جليلًا، ولم أزَل أسمعُ المشايخَ يقولونَ: إنَّ سببَ خُرُوجه إلى المشرق كان أنّه خرجت بأنفِهِ أو بعضِ جَسَدِه حرقة، فلم يَجِدْ لها بالأندلس مُداويًا وعَظُمَ عليه أمرُها، وقيل له: رُبما تَرَقَّت فأدَّت إلى الهلاك، فأسرع الخروجَ إلى المشرق. فقيل له: لا دواءَ لها إلّا بالهند، وإنه وصل الهند فأراها بعضَ أهلِ الطبِّ هناك فقال له: أُداوِيها على أنّه إن تمَّ بُرْؤُكَ وصحَّ شِفاؤُك قاسمتُكَ جميعَ مالِكَ، فقال: رَضيتُ، فداواهُ، فلمَّا أفاقَ دعاهُ إلى بيته وأخرجَ لهُ جميعَ مالِه وقال له: دُونَكَ المقاسَمَةَ المشروطةَ. فقال له الطبيبُ الهنديُّ: أليستْ نفسُكَ طيبةً بذلك؟ قال: بلى والله، قال: فوالله لا أَرْزَؤُكَ شيئًا مِن مالِك، ولكن آخُذُ هذا الشيءَ ـ لِشَيءٍ أستحسَنَهُ مِن آلاتِ بيته ـ وقال لهُ: إنَّما جرَّبتُك بقولي وأردتُ أن أعرفَ قيمةَ نفسِكَ عندَك، ولو أبيتَ ما دَاويتُك إلّا بجميعِ مالِكَ، ولو لم تُدَاوِهَا لهلكتَ، فإنَّها كانت قاربَتِ الخطرَ، فحَمِدَ اللهَ ﷻ وانصرفَ واشتغلَ في رُجُوعه بطلب العلم وروايات الكُتب، فحصلَ لهُ علمٌ جمٌّ وبُورِكَ لهُ فيه(٣).

---

(١) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي (١/١١٦).

(٢) الفروسية لابن القيِّم (٤٤٧).

(٣) رسائل ابن حزم الأندلسي (٢/٢٢٠) تحقيق: إحسان عباس، «شذرات من الرِّوايات التاريخية» (رقم ٢).

صور لهمة سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

من همَّة سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله أذكرُ هُنا مثالَين عايَشتُهما أنا بنفسي يَدُلّان على حرص الشيخ وصبره على البحث، وهما:

❊ **الأول:** في عام ١٣٩٨ أو ١٣٩٩هـ كلّفني سماحتُه ببحث حديثِ عُبادةَ بن الصَّامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**خمسُ صلواتٍ فَرَضَهُنَّ اللهُ...**»، فنقلتُ أسانيدَ الحديث من عشرينَ مَرجِعًا تقريبًا من السُّنَن والمسانيد، فلمَّا أكملتُ البحث وأحضرتُه إلى سماحته بعد صلاة العشاء بدأتُ القراءةَ عليه بعد طعام العشاء، وفي أثناءِ القراءة كان يَأمُر بقراءةِ بعض التراجم من كتب الرِّجال، فلمَّا شارَفَتْ عقاربُ السَّاعَةِ على الثانية عشرة تغشَّاني النُّعَاس فشَعَرَ الشيخُ بذلك ـ وكان ضريرَ البصر كما هو معلومٌ ـ، فاستأذنتُه في الانصراف فأذِنَ رحمه الله، وقال لي جملةً مفادُها: أسهرناك هذه الليلةَ أو نَحوَهَا، وطلبَ إكمالَ القراءةِ في الغد أو بعدَهُ.

❊ **الثاني:** طلبَ منِّي سماحتُه رحمه الله في عام ١٣٩٨هـ بحثَ حديثِ «النَّهي عن الانتعال قائمًا»، وكان سماحتُه قد استمعَ إلى تخريج الحديث من «السِّلسلة الصحيحة» للألباني، واستعادَ الشيخُ كلامَ الشيخ الألباني مِرارًا، وكان الذي يَقرأُ عليه هو الشيخ خالد الشريمي، وكانت جلسةً منزليةً في دارِ سماحته بعد العشاء.

شاهدُ المقال: أنَّ الشيخَ أراد التثبُّتَ مِن اكتمال رجالِ السَّنَد ـ سند

ابن ماجه[١] ـ وعدم وُقوع السَّقْط من الطابع، فطلب سماحتُه إحضارَ كتاب «سُنَن ابن ماجه»، فأُحضِرَ وقُرِئَ عليه، فكان السَّنَد مُطابِقًا لما ذَكَر الشيخُ الألباني في «السِّلسلة الصَّحيحة»، فأمرني الشيخُ بإحضار كتاب «مصباح الزُّجَاجة في زوائد ابن ماجه» للبُوصيري فيما أظنّ، فبحثت عنه في مكتبته فلم أعثُر عليه، فأمرني أن أعود إلى البحث مرَّةً أخرى وقال: إنَّه موجود، ومع ذلك لم أعثُر عليه لكثرة الكتب وتراكُمها.

وقبل انصرافي من منزل سماحته أشار إليَّ الشيخ إبراهيم الحصيّن رحمه الله[٢] بأنَّ الشيخَ يُريدُك، فلمَّا جِئتُ إليه أمَرَني بالذهاب إلى «المكتبة السُّعودية» ونَقْلِ إسنادِ الحديث مِنَ النُّسَخ الخطِّية لـ «سُنَن ابن ماجه»، ثمَّ أمَرَ الشيخَ إبراهيمَ الحصيّن أن يَكتُبَ لي خِطابًا مُوَجَّهًا إلى المكتبة لكي أتمكَّنَ مِنَ البحث في النُّسَخ الخطِّية. فذهبتُ إلى المكتبة، وأحضرُوا لي ثلاثَ نُسَخ، وقالوا: بَقِيَت رابعةٌ، فقلتُ: يَكفيني ثلاثُ نُسَخ. وبعدَ البحثِ وَجدتُ إسنادَ الحديث مُطابقًا للنُّسخَة المطبوعة، فرجعتُ إلى الشيخ وأخبرتُه بما فعلتُ، فأمرني بالعودةِ إلى المكتبة مَرَّةً أخرى والبحثِ في النُّسخَة الرَّابعة ـ وقد أخبرتُ الشيخَ عنها ـ كما أوصاني أن أنقُل سماعاتِ النُّسخة مِن آخِرِها. وبعد العودة إلى المكتبة طلبتُ النُّسخَةَ الرَّابعة، وكانت

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب اللباس، باب الانتعال قائمًا، (١١٩٥/٢)، حديث رقم (٣٦١٩). وهناك مبحثٌ نفيسٌ في تحقيق ضبط لفظ «ابن ماجه» هل يقال: ابن ماجة، أو: ابن ماجه. انظر: سنن ابن ماجه (١٥٢٠/٢) بتحقيق الشيخ: محمَّد فؤاد عبدالباقي.

(٢) هو الشيخ إبراهيم بن عبدالرَّحمن بن عبدالعزيز الحصيّن، رجلٌ فاضلٌ، طلقُ الوجه، دمثُ الأخلاق، لازمَ سماحةَ الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله للكتابة لهُ منذُ قُدومه المدينةَ أوائلَ عام ١٣٨١هـ، وبعد انتقاله إلى الرِّياض، إلى أن توفي رحمه الله في شهر ربيع الأوَّل سنة ١٤١٠هـ، أي: قبل وفاة الشيخ عبدالعزيز رحمه الله بعشر سنواتٍ تقريبًا.

المفاجأة! وهي أنَّ الحديثَ غيرُ موجودٍ في مَوضِعه كما هو في سائر النُّسَخ المخطوطة أو المطبوعة، فجئتُ إلى سماحةِ الشيخ في منزله بعد المغرب فأخبرتُه بعدم وجودي للحديث في النُّسخَة الخطية الرَّابعة، فتربَّع على كُرسيِّه وتبسَّم ضاحكًا وقال: «ذلك ما كُنَّا نبغ»، ثمَّ سألني عن سماع النُّسخَة فأخبرتُه بأنَّها قُرئت على الإمام الشوكاني رحمه الله، فترحَّم الشيخُ على الإمام الشوكاني...

بكلِّ حال؛ أتذكَّرُ أنّ الشيخَ أعلّ الحديث في «سنن ابن ماجه» من جهة علي بن محمَّد الذي يَرويهِ عن وكيع، وذَكَر لي الشيخُ أنَّ وكيعًا إمامٌ مشهورٌ وطُلّابه كُثر، ومع هذا لم يَرْوِ هذا الحديثَ عنهُ إلّا عليُّ بن محمَّد وليس مِن طُلّاب وكيع المشهورين. هذا ما يَحضُرُني من فحوَى كلام الشيخ حول هذا الحديث(١).

والذي أريدُ أن أقولَه هنا: أنَّ إعلال الشيخ لطريق ابن ماجه بسبب تَفرُّد علي بن محمَّد عن وكيع إعلالٌ وَجيه، وهذا المأخذُ يُعَلُّ به السَّندُ عند أهل العلم.

مثال ذلك: ما رواه التِّرمذيُّ من طريق شريك بن عبدالله النَّخَعي، عن أبي إسحاق، عن عطاء بن أبي رباح، عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«مَن زَرَعَ في أرض قومٍ بغيرِ إذنهم فليس لهُ مِنَ الزَّرع شيءٌ، ولهُ نَفَقتُه»**. قال الحافظُ ابنُ حَجَر رحمه الله: «وتفرُّدُ شريكٍ بمثل هذا

(١) للحديث شاهدٌ عند ابن ماجه أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، كما ذكر ذلك الشيخ الألباني رحمه الله في «السِّلسلة»، والذي جرى البحث فيه من الشيخ هو حديثُ ابن عُمَر رضي الله عنهما، ولعلّ الشيخ ـ والله أعلم ـ لم يرتضِ إسنادَ أبي هريرة بسبب عنعنة الأعمش.

الأصل عن أبي إسحاقَ مع كثرةِ الرُّوَاة عن أبي إسحاق ممَّا يُوجِبُ التَّوقُّفَ عن الاحتجاج به...»[١].

وقال الحافظُ أبو الفضل محمَّد بن طاهر المقدسي: «وأمَّا الغريب من الحديث، كحديث الزُّهري وقتادةَ وأشباهِهما من الأئمَّة ممَّن يُجمَع حديثُهم، إذا تَفرَّدَ الرَّجُل عنهم بالحديث يُسمَّى غريبًا»[٢].

وقد نصَّ على هذا الإمامُ مسلمٌ في مقدّمة «صحيحه»، ومَثَّل بالزُّهريِّ وهشام بنِ عُروةَ وأنَّهما مِنَ الشُّهرةِ والرِّواية وكثرةِ الأصحاب بمكان، ولو رَوَى عنهُما أحدٌ حديثًا لا يَعرِفُه أصحابُهما فغيرُ جائزٍ قبولُ حديثِ هذا الضَّرب من النَّاس[٣].

* ومِن جَلَد الشيخ: ما نَقَلهُ بعضُ تلاميذه حينَ قال: جَلَسَ الشيخُ ساعتينِ ونصفًا في درس يوم الخميس، وفي نهاية الدَّرس قال سماحتُه: «لولَا الأشغالُ الأخرى لَجَلَسنا مع الإخوان حتَّى الظُّهر».

* وسُئل الشيخ رحمه الله عن أحسنِ كتابٍ قرأهُ، فقال: «شرح النَّووي على مسلم»، وذكرَ النَّاقلُ أنَّ الشيخ قال: «قرأتُه أكثرَ من ستِّينَ مرَّةً».

** ** **

---

(١) النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر العسقلاني (٤٢٩/١).
(٢) النفح الشذي في شرح جامع الترمذي لابن سيد الناس (٣٠٧/١).
(٣) انظر: مقدمة صحيح مسلم (٧/١).

صور لهمة الإمام الألباني رحمه الله

* **وأمَّا الإمامُ الألباني** رحمه الله فمن عجيب علوِّ همَّته وصادق عزيمته رحمه الله أنَّ أوَّل عملٍ قامَ به في مباحث العلم قد يَعجز عنهُ بعضُ كبار طلبة العلم؛ نَظرًا لما يَحتاجُه من جُهد بدني ووقتي(١).

* ومن عجيب الأخبار الدَّالّة أيضًا على همَّته وعزيمته: قصَّة الورقة الضَّائعة التي حكاها بنفسه، قال رحمه الله: «.. فقد ابتُليتُ بمرضٍ خفيفٍ أصاب بَصَري منذُ أكثرَ مِنِ اثنَي عَشَر عامًا، فنصحني الطبيبُ المختصُّ بالرَّاحة وترك القراءةِ والكتابةِ والعمل في مِهنة إصلاح السَّاعات مِقدارَ سِتَّة أشهُر، فعملتُ بنصيحته أوَّلَ الأمر، فتركتُ ذلك كُلَّه نحوَ أسبوعينِ، ثمَّ أخَذَتْ نفسي تُراوِدُني وتُزَيِّنُ لي أن أعملَ شيئًا في هذه العُطلةِ المُمِلّة، عملًا لا يُنافي ـ بزعمي ـ نصيحَتَهُ، فتذكرتُ رسالةً مخطوطةً في المكتبة اسمُها «ذمّ الملاهي» للحافظ ابن أبي الدُّنيا لم تُطبع فيما أعلمُ يومئذٍ، فقلتُ: ما المانعُ من أن أُكَلِّفَ مَن يَنسخُها لي؟ وحتَّى يَتمَّ نسخُها ويأتيَ وقتُ مُقابَلَتِها بالأصل يكونُ قد مَضَى زمنٌ لا بأسَ به مِنَ الرَّاحة، فبإمكاني يومئذٍ مُقابَلَتُها، وهي لا تَستدعي جُهدًا يُنافي الوضعَ الصِّحِّيَّ الذي أنا فيه، ثمَّ أُحَقِّقُها بعدَ ذلك على مَهل وأُخَرِّجُ أحاديثَها، ثمَّ نطبعُها، وكُلّ ذلك على فتراتٍ لكي لا أشُقَّ على نفسي، فلمَّا وَصَلَ النَّاسِخُ إلى مُنتصَف الرِّسالةِ

(١) انظر الخبر في مبحث: «الحادثة التي غيَّرت مجرى تاريخ حياة الألباني» من كتابي «الإمام الألباني دروس ومواقف وعبر» (٢٨ ـ ٣١).

أبلغني أنَّ فيها نَقصًا، فأمَرتُه بأن يُتابعَ نَسخها حتَّى يَنتَهِيَ منها، ثمَّ مُقابَلَتِهَا معهُ على الأصل، فتأكَّدتُ من النَّصِّ الذي أشار إليه، وأُقَدِّرُه بأربع صفحاتٍ في ورقةٍ واحدةٍ في مُنتصَفِ الكُرَّاس، فأخذتُ أفكِّرُ فيها وكيف يُمكِنُني العُثورُ عليها؟ والرِّسالةُ محفوظةٌ في مُجلَّدٍ مِنَ المُجَلّدات الموضوعة في المكتبة تحت عُنوان «مجاميع»، وفي كُلِّ مجلدٍ منها على الغالب عديدٌ مِنَ الرَّسائل والكُتب المختلفةِ الخُطوط والمواضيع والوَرَق لونًا وقياسًا، فقلتُ في نفسي: لعلَّ «الورقة الضائعةَ» قد خَاطَها المُجَلِّدُ سَهوًا في مجلّدٍ آخَرَ من هذه المُجَلّدات! فرأيتُني مُندفِعًا بكلِّ رغبةٍ ونشاطٍ باحثًا عنها فيها على التسلسُل، ونسيتُ أو تَناسَيْتُ نَفسي والوَضعَ الصِّحِّيَّ الذي أنا فيه! فإذا ما تَذكَّرتُه لم أُعْدَم ما أتعلَّل به، مِن مثل القول بأنَّ هذا البحث لا يُنافيه لأنه لا يَصحَبُه كتابةٌ ولا قراءةٌ مُضنية! وما كِدتُ أتجاوزُ بعضَ المجلّداتِ حتَّى أخَذَ يَسترعي انتباهي عناوينُ بعضِ الرَّسَائل والمؤلّفاتِ لِمُحَدِّثينَ مَشهورِينَ وحُفّاظٍ مَعرُوفينَ، فأقف عندها باحثًا لها، دارسًا إيَّاهَا، فأتمنَّى لو أنَّها تُنسَخُ وتُحَقَّق ثمَّ تُطبَع، ولكنِّي كنتُ أجدُها في غالب الأحيان ناقصةَ الأطراف والأجزاءِ، فأجدُ الثانيَ دونَ الأوَّلِ مثلًا، فلم أَندفعْ لِتسجِيلها عندي، وتابعتُ البحث عن «الورقة الضَّائعة»، ولكن عَبثًا، حتَّى انتهتْ مجلّداتُ «مجاميع» البالغُ عددُها (١٥٢) مجلدًا، بَيْدَ أنِّي وَجدتُني في أثناءِ المتابعة أخذتُ أُسَجِّلُ في مُسوَّدَتي عناوينَ بعض الكُتب التي راقتني، وشجَّعني على ذلك أنّني عثرتُ في أثناءِ البحث فيها على بعضِ النَّواقص التي كانت قبلُ مِنَ الصَّوارف عَنِ التَّسجيل، ولمَّا لم أعثُر على «الورقة» في المجلدات المذكورة قلتُ في نفسي: لعلّها خِيطَتْ خطأً

في مُجلّدٍ من مجلّدات كُتب الحديث المسجَّلَة في المكتبة تحت عُنوان «حديث»! فأخذتُ أُقلِّبُها مجلّدًا مجلدًا، حتَّى انتهيتُ منها دون أن أقفَ عليها! ولكنِّي سَجَّلتُ أيضًا عندي ما شاء اللهُ تعالى من المؤلَّفات والرَّسائل.

وهكذا لم أَزَل أُعَلِّلُ النَّفسَ وأُمَنِّيها بالحصول على «الورقة»، فأنتقل في البحث عنها بين مجلّدات المكتبة ورسائلِهَا من عِلمٍ إلى آخَر؛ حتَّى أتيتُ على جميعِ المخطوطاتِ المحفوظةِ في المكتبة، والبالغ عددُها نحوُ عشرةِ آلاف مخطوطٍ، دونَ أن أَحظَى بها!

ولكنِّي لم أيأسْ بعدُ، فهناك مَا يُعرَف بـ «الدست»، وهو عبارةٌ عن مُكدَّساتٍ من الأوراقِ والكراريسِ المتنوِّعَة التي لا يُعرَفُ أصلُها، فأخذتُ في البحث فيها بدقّةٍ وعنايةٍ، ولكن دونَ جدوى! وحينئذٍ يَئستُ من الورقة، ولكنِّي نظرتُ فوجدتُ أنَّ الله ﷻ قد فَتحَ لي مِن ورائها بابًا عظيمًا من العلم، طالما كنتُ غافِلًا عنهُ كغيري، وهو أنَّ في «المكتبة الظاهرية» كنوزًا مِنَ الكُتب والرَّسائل في مختلَف العلوم النَّافعة التي خَلّفها لنا أجدادُنا رحمهم الله، وفيها من نوادر المخطوطاتِ التي قد لا تُوجَدُ في غيرها من المكتبات العالمية، ممَّا لم يُطبع بَعدُ.

فلمَّا تبيَّن لي ذلك واستحكمَ في قلبي، استأنفتُ دِراسة مخطوطاتِ المكتبة كُلِّها مِن أوَّلها إلى آخِرها للمرَّة الثانية على ضوء تجربتي السَّابقة التي سَجَّلتُ فيها ما انتقيتُ مِنَ الكُتب، فأخذتُ أُسَجِّلُ الآنَ كُلَّ ما يَتعلّق بعلم الحديث منها ما يُفيدُني في تخصُّصي، لا أترُكُ شاردةً ولا واردةً إلّا سَجَّلتُها، حتَّى ولو كانت ورقةً واحدةً من كتاب أو جُزءٍ مجهولِ الهُويَّة!

وكأنَّ الله ﷻ كان يُعِدُّني بذلك كُلِّه للمرحلة الثالثة والأخيرة، وهي دراسة هذه الكُتب دراسةً دقيقةً، واستخراجُ ما فيها من الحديث النبويِّ مع أسانيدِهِ وطُرُقه وغير ذلك مِنَ الفوائد.

هذا؛ وقد كان «الفهرس» نتيجةَ جهدٍ فرديّ، واندفاع ذاتيّ من شخصٍ غير مُوَظَّفٍ في المكتبة، ولا مُكلَّفٍ منها، ولذلك لم يَكُن ليتيسَّرَ له ما يَلزَمُه من التَّسهيلات لمراجعة المخطوطات ودراستِها والبحثِ عن المجهولات من الأجزاءِ فيها مثلما تيسَّر عادةً لمن كان موظفًا في المكتبة أو مُكَلَّفًا من إدارتها، فكان من الطبيعيِّ أن يَنالَنِي بعضُ المشقّة في سبيل هذه الدِّراسة، فقد أَتَى عليَّ من أيَّامٍ كُنتُ أُضطَرُّ فيها إلى أن أَنصِبَ السُّلَّمَ فأرقى عليه ساعاتٍ في دراستها في موضعها دراسةً سريعةً، فإذا اخترتُ شيئًا منها لدراستها دراسةَ فحصٍ وتدقيقٍ طلبتُ مِنَ الموظَّفِ المختصِّ أن يُنزِلَها ويأتيَ بها إلى المِنضَدة، بعد تقديمي قائمةً بأسمائها وأرقامها وتوقيعها»(١).

* ومن صادق عزيمته أيضًا وقوَّتها قوله رحمه الله مُتحدِّثًا بنعمة الله عليه: «.. كنتُ جمعتُ منذ أكثرَ من عشرِ سنواتٍ ألوفَ الأحاديث في أكثرَ من أربعينَ مجلدًا، مَعزُوَّةً إلى مصادرها الكثيرة، نَقَلتُها بخطِّي من مئاتِ المخطوطاتِ المحفوظة في عِدَّةِ مَكتباتٍ معروفةٍ، مثل المكتبة الظاهرية بدمشق، ومكتبة الأوقاف الإسلامية بحَلَب، والمكتبة المحمودية في المسجد النبويِّ، ومكتبة عارف حكمت في المدينة المنوَّرة، وغيرِها من المكتبات التي حَوَتْ مِن نفائسِ الكُتب الحديثيَّة، والفوائدِ والأجزاءِ والسِّيرةِ والتاريخ والتراجم، ممَّا لم يُطبَع شيءٌ منها حتَّى الآن...»(٢).

---

(١) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية للألباني (٤) طبعة دمشق ١٩٧٠م.

(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني (١٧/١).

قلت: وممَّا يَنبغي أن يُستحضَرَ هُنا: أنّ الشيخَ الألباني رَحِمَهُ الله كَتَب تلكَ الفهارس المتنوِّعةَ قبل انتشارِ أجهزةِ الكمبيوتر التي قرَّبت بعيدًا وجمعت مُتفرِّقًا بفضل الله تعالى.

* وقال رَحِمَهُ الله: «أحيانًا يأخُذ الحديث منِّي ساعاتٍ، وأحيانًا أيامًا، بل أحيانًا أمكُثُ أسبوعًا في حديثٍ واحدٍ»(١).

* وقال رَحِمَهُ الله: «... اشتكت عيني فطلب منِّي الطبيبُ أن أستريحَ وأن أتوقَّف عن الكتابة والقراءة لفترةٍ من الوقت، فقلتُ: حتَّى لا يَضيعَ الوقتُ أُعطِي بعضَ إخواننا مخطوطةً صغيرةً يَنسخُها لي، فما أن ينتهي حتَّى أكونَ قد استرحتُ. وفعلًا قام الأخُ بنسخها، وكنتُ أطّلع على ما يَنسَخُ مُعلِّلًا نفسي بأنّ هذه لا تُؤَثِّر وليست قراءةً تُتعِب العين، فأتيتُ على كلمةٍ ما فهمتُها ولم أستطع قراءتَها، فرجعتُ إلى المخطوط وإذا بالأخ قد رسمها كما في المخطوط ـ وكان خطاطًا ـ فأخذتُ أقلِّب النَّظَر فيها وأفكِّر لعلِّي أهتدي لقراءتها، فما اهتديتُ وشَغلتُ فكري، فلمَّا حلَّ المساء ونمتُ استيقظتُ مِنَ المنام وأنا أقول: فردًا فردًا، فردًا فردًا، فما دريتُ هذا المنامَ أيش هو؟ فقلتُ: يا ناصر، اكتُب ما حدَثَ حتَّى لا أنسَى المنام، وفي الصَّباح أنظرُ فيه، وفعلًا في الصباح أخذت أفكِّر، ثمَّ قلتُ: لعلّ لهُ علاقةً بالكلمة، فأحضرتُ المخطوطةَ وأخذتُ أنظرُ في الكلمة وأردِّد الكلمة التي قُلتُ حتَّى اهتديتُ إلى حلِّ الإشكال، فكلمةُ المخطوطة عبارةٌ عن كلمتينِ دمجهما النَّاسخ ففصلتُهما فقرأتُ الكلمة»(٢).

---

(١) محدِّث العصر الإمام محمد ناصر الدين الألباني كما عرفته لعصام هادي (٩٩).

(٢) محدِّث العصر الإمام محمد ناصر الدين الألباني كما عرفته (١٢٧ ـ ١٢٨).

* ومن شواهد علوِّ همَّته قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «... ذلك ما سيتبيَّنُ بعد فَراغي من قراءة «مسند أبي يعلى» كُلِّه إن شاء الله تعالى، ثمَّ فرغتُ من قراءة «المسند» كُلِّه»[1].

* ومن شواهد علوِّ همَّة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وعزيمته الصَّادقة أيضًا: أنّه في كتابه «الذَّبّ الأحمد عن مسند الإمام أحمد» عند مبحث: هل لأبي بكر القَطيعي زياداتٌ في «المسند»؟ قام الشيخ بمجهودٍ عظيم يَدُلّ على همَّةٍ عاليةٍ وعزيمةٍ صادقةٍ، أحسبُه كذلك واللهُ حسيبُه، وإليك خلاصةَ ما قام به:

١ ـ بدأ بكتاب «الفتح الرَّبَّاني» للشيخ البنّا، ومرَّ على أحاديثه جزءًا جزءًا، وهو في أربعةٍ وعشرينَ مجلَّدًا.

٢ ـ ثمَّ قال بعد ذلك: «وفي سبيل التأكُّد ممَّا وصلتُ إليه بدراستي على الخطّة السَّابقة فقد رأيتُ أنه لا بُدَّ من أن أُتبعَها بخُطط أخرى، وهي الرُّجوع إلى دراسة كُتب أخرى، ولو أنّ ذلك يُكلِّفُني جهدًا بالغًا، ويأخذُ منِّي وقتًا طويلًا، ولا بأس مِن ذلك ما دُمتُ أعتقدُ أنّني أخدمُ سُنَّةَ النبيِّ ﷺ في الرَّدِّ على مَن طَعَن في صِحَّة «مُسند الإمام أحمد» ـ رحمه الله تعالى ـ وفي بعض رُواته. فبدأتُ بدراسة «المسند» نفسِه، وآثرتُ فيها الطبعةَ التي حقَّقها الشيخُ أحمد شاكر رحمه الله تعالى...»[2].

٣ ـ ثمَّ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «... أخذتُ في قراءة المجلَّد الأوَّل من هذه الطبعة حتَّى أتيتُ على جميع مجلّداتها، والبالغ عددُها خمسةَ عشر...»[3].

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني (٣/٥٤٠).
(٢) الذبّ الأحمد عن مسند الإمام أحمد للألباني (٥٨ ـ ٥٩).
(٣) الذبّ الأحمد عن مسند الإمام أحمد (٥٩).

٤ ـ ثمَّ قال بعد ذلك: «... فلمَّا لم أجد شيئًا من زياداتِ القَطيعي في المجلّدات السَّابقة الذِّكر ـ وذلك على وجه اليقينِ إن شاء الله تعالى ـ سِرتُ في التحقيق على خُطّة ثالثةٍ فَتحَ لي طريقَها أنَّني كنتُ قرأتُ فيما قرأتُ لهذا البحث «المصعد الأحمد في ختم مُسنَد الإمام أحمد» للحافظ شمس الدِّين ابن الجَزَري، فرأيتُه يَذكُر فيه (ص٢٩) أنَّ زيادات القَطيعي في مُسنَد الأنصار ـ يعني من «مسند الإمام أحمد» ـ، ومسند الأنصار هذا يَقَعُ في المجلّد الخامس من «المسند» الأمّ من الطبعة القديمة، من (ص١١٣) إلى (٤٥٦)، وهي آخر المجلد، فبدأتُ بقراءة هذه الصَّفَحات كُلِّها، ولكن دونَ جدوى»[1].

٥ ـ ثمَّ قال بعد ذلك: «... أخذتُ خطةً رابعةً؛ وهي أنه لا بُدَّ من دراسة أسانيد أحاديث بقيَّة المجلدات السِّتَّة من «المسند» لتمام التثبُّت والتحقُّق، فبدأتُ بالمجلد الثالث (ص٢ ـ ٥٠٣)، وثلثه الأوَّل والثاني منه (ص٢ ـ ٤٠٠) مُؤَلّف من مسانيدِ ثلاثةٍ من الصَّحابة الأنصار المشهورين: الأول: مسند أنس بن مالك، والثاني: مسند أبي سعيد الخدري، والثالث: مسند جابر بن عبدالله ـ رضي اللهُ تعالى عنهم أجمعينَ ـ... فأتيتُ على هذه المسانيدِ الثلاثة، ولكن دونَ جَدوى، ثمَّ تابعتُ دراسةَ بقيةِ المجلد الثالث ولكنِّي لم أجد شيئًا»[2].

٦ ـ ثمَّ قال رحمه الله بعد ذلك: «... فمررتُ بالمجلد الرَّابع كُلِّه (ص٢ ـ ٤٤٧)، ثمَّ بما كنتُ لم أَدرُسه من أوَّل المجلد الخامس (ص٢ ـ ١١٣)،

(١) الذبّ الأحمد عن مسند الإمام أحمد (٦٠ ـ ٦١).
(٢) الذب الأحمد عن مسند الإمام أحمد (٦١).

ثمَّ أَتبعتُه بدراسة المجلّد السَّادس كُلِّه (ص٢ ـ ٤٦٨)، فلم أجد في كلِّ هذه المجلّدات شيئًا من زيادات القَطيعي إطلاقًا!»[1].

٧ ـ ثمَّ قال بعد ذلك: «... فما قَنِعتُ بكلِّ ذلك مِنَ التَّحقيق، بل تابعتُ السَّير على الطريق، فتمنَّيتُ أنه لو كان عندي في المكتبة الظاهرية نسخةٌ مخطوطةٌ من كتاب «زوائد المسنَد» للحافظ نور الدِّين الهيثمي لأقوم بدراستها؛ زيادةً في التحقيق، ولمّا كنتُ على علمٍ بعدم وُجودها استعضتُ عنه بمُراجعة كتابه الكبير «مجمع الزَّوائد» الذي جَمع فيه زوائدَ عدَّة كُتب مُسنَدة، منها «مسند أحمد»، فمررتُ على جميع مجلّداته العشرة، فلم أعثُر فيها على شيءٍ مِن زيادات القَطيعي، اللَّهمَّ إلّا حديثًا واحدًا أوردهُ في باب التوقيت في المسح على الخفّين...»[2].

٨ ـ ثمَّ شرع رحمه الله في التأكُّد من ثُبوت هذه الزِّيادة بالرُّجوع إلى نُسخة أخرى من كتاب «مجمع الزوائد» فقال: «... في ظاهرية دمشق نُسختانِ منه، ولكنَّهما مَخْرُومتانِ، وقد رجعتُ إلى المجلد الأوَّل من كلٍّ منهما برقم (٢٤٧ ـ حديث) و(٢٥٢ ـ حديث) فلم تَرِد هذه الزِّيادة إلّا في الأولى منهما، لكنَّها لم تقع فيها في صُلب الحديث، وإنَّما استُدرِكتْ على الهامش بخطٍّ مُغايِر لخطِّ النُّسخة، وبجانبها علامة التصحيح...»[3].

٩ ـ ولم يَكتَفِ بهذا؛ بل أراد التأكُّد من أصل حديث ابن عُمَر رضي الله عنهما فقال رحمه الله: «... وإنِّي لَأقطعُ بوهم مَن ألحقَ هذه الزِّيادةَ بهذا الحديث؛

(١) الذب الأحمد عن مسند الإمام أحمد (٦١).
(٢) الذبّ الأحمد عن مسند الإمام أحمد (٦١ ـ ٦٢).
(٣) الذب الأحمد عن مسند الإمام أحمد (٦٣).

لمخالفتها للنُّسَخ الأخرى من مخطوطات «مجمع الزَّوائد» كما عرفت، ولمنافاتها للاستقراءِ والتحقيق الذي سبقَ حول زيادات القطيعي في «المسند»، بل وأُرَجِّحُ عدمَ وُروده فيه مُطلَقًا من رواية أحمد نفسِه، أو ابنه عبدالله في «زوائده» عليه؛ للأسباب التالية:

الأوَّل: أنّني راجعتُ له مُسنَد ابنِ عُمَر في «المسند» (طبعة أحمد شاكر) فلم أجده.

الثاني: أنني استعنتُ على الكشف عنه فيه بالفهارس العلميَّة الموضوعة حديثًا؛ لتيسير الوُقوف على أيِّ حديثٍ فيه والكُتب السِّتَّة وغيرها، مثل «مفتاح كنوز السُّنَّة»، و«المعجَم المفهرس لألفاظ الحديث»، فراجعتُ في الأوَّل منها مادَّة «الوضوء» ـ المسح على الخفين ـ، وفي الآخَر لفظة «يوم»، وراجعتُ كلّ الصفحات التي أشاروا إليها في كُلِّ المجلّدات فلم أعثُر عليه، ثمَّ راجعتُ فهارس الأجزاءِ الملحَقَة بطبعة أحمد شاكر رحمه الله: التي كان وَضَعَها في آخِر كُلِّ جُزءٍ على الكُتب والأبواب فلم أرهُ أيضًا؛ فَعَلتُ ذلك احتياطًا لدفع احتمال كونه قد ذُكِر في مُسنَد آخَر من مسانيد الصَّحابة غير ابن عُمر، كما يَقعُ ذلك أحيانًا، يَرِد فيه ـ أحيانًا ـ حديثُ صحابيٍّ في مُسنَد صحابيٍّ آخَر سَهوًا، أو لمناسبةٍ أخرى كما هو مَعلومٌ عند الدَّارسينَ لهذا «المسنَد» العظيم.

الثالث: أنِّي راجعتُ له أيضا ـ وبصورة خاصَّةٍ ـ بابَ توقيت مُدَّة المسح من «الفتح الرَّبَّاني» فلم يُورِدهُ من حديث ابن عُمر أصلًا.

الرَّابع والأخير: أنّ الحديث أوردهُ الحافظُ الزيلعي في «نَصب الرَّاية» (١/١٧٣) من رواية الطبراني في «الأوسط» وَحدَهُ عنِ ابن عُمر، وهو يَتبعُ

في ذلك الشيخ ابنَ دقيقِ العيد في «الإمام»، ثمَّ تَبِعَهُما الحافظُ ابنُ حَجَر في «الدِّراية» (ص٤٠)، والحافظُ السُّيوطي في «الجامع الكبير» (٥/٩٦ ـ كنز العُمَّال)، وفي «الزِّيادة على الجامع الصَّغير» مخطوط (رقم٥٠٦٥) من «صحيح الجامع الصَّغير وزيادته»»[(١)].

١٠ ـ وبعد هذا قال ـ وحقَّ له أن يقول ـ: «... وجُملة القول في هذا الفصل الخامس والأخير: أنّني لم أجد في «مسند الإمام أحمد» ولا حديثًا واحدًا من زيادات القطيعي فيه، وذلك بعد البحث الطويل، والصَّبر المديد؛ فإن كان صوابًا ـ وذلك ما أرجو ـ فالفضل لله ﷻ، وإن كان غيرَ ذلك فهو ـ على كُلِّ حالٍ ـ دليل قاطعٌ على كَذِب مَن قال: إنَّ القَطيعيَّ أَدخَل في «المسند» أحاديثَ موضوعةً حتَّى صار ضِعْفَيْه!»[(٢)].

❊ وقال الشيخ باسم الجوابرة: «وممَّا يَدُلّ على صبره وجَلَده في طلب العلم: ما حدَّثني به الدكتور محمود الميرة حَفِظَهُ اللهُ بأنّ الشيخ ناصرًا صَعِدَ على السُّلَّم في المكتبة الظاهرية ليأخُذ كتابًا ـ مخطوطًا ـ فتناوَلَ الكتابَ وفتَحَه، فبقي واقفًا على السُّلَّم يَقرأ في الكتاب لمدَّةٍ تزيدُ على السِّتِّ ساعاتٍ»[(٣)].

❊ وممَّا يدُلّ على عزيمة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: أنه في أوَّل أمره كان قليلَ ذاتِ اليد، ومع ذلك ـ وغيرِه مِنَ المُعَوِّقات ـ لم تَقِف همَّةُ الشيخ رَحِمَهُ اللهُ، بل استمرَّ ماضيًا في فعل ما يُعينُه على طلب العلم وكتابته، وإليك هذا الخبر

(١) الذبّ الأحمد عن مسند الإمام أحمد (٦٣ ـ ٦٤).
(٢) الذبّ الأحمد عن مسند الإمام أحمد (٦٩).
(٣) مقالات الألباني (٢٢٠).

الذي ذَكرَهُ الأستاذ محمَّد الشيباني، قال أثابهُ الله تعالى: «ومِن شدَّة العَنَت والفقر الذي عاشه الشيخ أنه كان لا يَملِكُ قِيمةَ شِراءِ ورقةٍ يَشتريها ليُسَوِّدَها بما مَنَّ الله تعالى عليه من علمٍ فيها، فكان يَطوفُ في الشوارع والأزقة يبحث عن الأوراق السَّاقطة فيها من هُنا وهناك ليكتُب على ظهرها؛ وذلك لأنَّ وجهَ الورقة يكونُ عادةً مكتوبًا فيه إمَّا دعوةٌ لافتتاح مَعرِض، أو حَفلةِ زواج، أو دعاية لمصنوعة من المصنوعات، وقد أَطلَعني الشيخُ على بعض الكُتب المخطوطة التي كُتِبَت بهذه الأوراق، وأغلبُها قد تقطّعت أطرافُها وتساقطت. وقال لي مرَّةً: كنتُ أشتري الأوراق (سقط المتاع) بالوزن لرخصه»(١).

* وقال ابنُه عبداللطيف أيضًا: «لاحظنا أثرَ الجلوس عليه على ظَهرِه في أثناءِ تغسيله».

* وأختم بهذه الأخبار ـ وهي قليلٌ من كثيرٍ ـ تُؤَكِّد ما سَبَق تقريرُه من عُلُوِّ همَّة الشيخ وقوَّة عزيمته:

١ ـ لمّا ثَقُل في مرضه الذي مات فيه كان يقول لأهله: احملوني إلى المكتبة، فإذا أدخلوهُ إليها قال: أَجلسوني. قالوا: لا تستطيعُ. فكان ﵀ يَضطجع ويَأمُر بالكتاب فيقرأ فيه.

٢ ـ لمّا ضَعُفَت يدُه عن الكتابة الطويلة كان يُملي على بعض أبنائه وحَفَدَتِه ما يُخَرِّجُه من أحاديث. قال الشيخ محمَّد إبراهيم شقرة حَفِظَهُ الله: كان الشيخ الألباني ﵀ لا يَهدَأُ عن البحث، حتَّى إنَّه إذا أراد أن يَكتُب

(١) حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه للشيباني (٤٣/١) الحاشية.

شيئًا قال: اكتُب يا عبداللطيف... اكتُب يا عُبادة... اكتُب يا لُؤَي[١].

٣ ـ قال الشيخ علي حسن: أملى الشيخُ الألباني قبل وفاته بأشهُر قليلةٍ ثماني عشرةَ صفحةً في تخريج حديثٍ ضعيفٍ مُنكَر حَشَدَ له بين يديه على طاولته عشراتِ المراجع الحديثية مخطوطةً ومطبوعةً.

٤ ـ ذكرَ الشيخُ علي حسن أنَّ الشيخَ الألباني اتَّصل به قبل شهرٍ من وفاته وسأله عن تفسيرٍ للقُرآنِ نسي اسمَه[٢].

٥ ـ ذكر الشيخُ علي خشّان أنّ الشيخ قبل وفاته بأيامٍ كان إذا أفاقَ من مرضه قال: أعطوني «الجرح» الثاني. يعني كتاب «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم[٣].

٦ ـ وذكَر الشيخُ علي حسن أنّ عبداللطيف نجل الشيخ الألباني أخبرَهُ أنّ الشيخ رحمه الله طلبَ منهُ قبل نحوِ ثمانٍ وأربعينَ ساعةً من وفاته إحضارَ كتاب «صحيح سُنَن أبي داود» لينظُر فيه شيئًا وقَعَ في قلبه ووَرَدَ على ذِهنه.

**   **   **

(١) صفحات بيضاء من حياة الإمام الألباني لأبي أسماء المصري (٩٤ ـ ٩٥).
(٢) صفحات بيضاء من حياة الإمام الألباني (٩٤).
(٣) صفحات بيضاء من حياة الإمام الألباني (٩٥).

صور لهمة الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله

* وأمَّا فضيلة شيخي الشيخ عبدِالله بن جبرين رحمه الله فقد كان ذا همَّةٍ عاليةٍ في نشر العلم، وفي هذا المقام أذكُر مُصاحَبتي لهُ في واحدةٍ من رحلاتي معهُ أَسُوقُها وأَرويها لشحذِ الهمم ولتقوية العزائم، أرويها بالسَّنَد العالي؛ ليَعلمَ طُلّابُ العلم أنَّ أصحابَ الهمم العالية لم ولن يَنقرِضُوا بإذن الله، وليُدَوِّنَ التاريخُ أنّ في اللّاحقينَ مَن يُذَكِّرُ بالسَّابقين. ففي سنة ١٤٠٩هـ كنتُ مُدرِّسًا في ثانويةٍ لتحفيظ القُرآن.. وَاعَدْتُ الشيخَ أن آتيه بعد صلاة الظُّهر في دار الإفتاء.. مع الأذان سمعتُ أنَّ أحَدَ المشايخ حضرَ إلى المدرسة فسألتُ عنه فتبيَّنَ أنه هو الشيخ، فلمَّا قابلتُه قلتُ: يا شيخ، قد أخبرتُك أنِّي سآتيك؟ فقال: عملي فيه سَعَةٌ للخُروج بخلافِ عملِك مُدرِّسًا فأتيتُ لأنّ ذلك أرفقُ بك.

بعد صلاة الظهر ثمَّ السَّلام على المُدرِّسينَ وجمعٍ كثيرٍ مِنَ الطلّاب ذهبنا إلى المطار قُرابةَ السَّاعةِ الواحدة والنِّصف.. ركبنا الطائرةَ السَّاعةَ الثانيةَ والنِّصف تقريبًا.. وصلنا مطارَ الظهرانِ بعد العصر، واستقبَلَنا الأستاذُ عبدالله بن عمر السَّدحان، وكان هو المنسِّق للمحاضرة مع الشيخ، وركبنا معه في سيَّارته.. صلّينا العصر على جانب الطريق، ثمَّ سَلَكنا الطريق مرَّةً أخرى.. ووصلنا مدينةَ الجبيل.. دخلنا منزلَ الأستاذ عبدالله السدحان.. بعد تناوُل شيءٍ من القهوة والتمر توضَّأ الشيخُ وذهَب إلى المسجد الذي ستُقامُ فيه المحاضَرة، واسمُه «جامع عبدالله بن مسعود» في مدينة الجبيل

الصِّناعية، وكان أكبرَ جامع في الجبيل آنذاك، وكان موضوعُ المحاضرة عن «الولاء والبراء» أو «صفات أهل الإيمان».

اعتذرتُ من الشيخ في عدم حُضور المحاضَرَة، ولا أدري الآنَ أينَ ذهبتُ.. صلّيتُ العِشاء وتأخَّرتُ بعد الصَّلاة قُرابةَ نصفِ ساعةٍ، ثمَّ أتيتُ المسجدَ الذي فيه المحاضرة، وإذا بالشيخ يتحدَّث فألمحَ إليَّ الأخ عبدالله السَّدحان أنّ العَشاء قد جُهز بعد العِشاء مباشرةً؛ لأنّ الشيخ لم يتغدَّ، وكنتُ قد أخبرتُه بذلك.

دخلتُ من بابٍ في قبلةِ المسجد وهمستُ في أُذن الشيخ بجُملة مشهورةٍ من قولِ عُمَر رضي الله عنه وهي: «نامَ النِّساءُ والصِّبيان»، وكان الشيخُ إذا تأخَّر وقتَ الدَّرس في الرِّياض أُسِرُّ بها في أُذنه فيبتسِمُ ويَختِم.

خَتَم الشيخُ المحاضَرة ثمَّ نهض فاجتمع النَّاسُ حولَهُ ومَشَوا معه إلى السَّيَّارة، ثمَّ ركب الشيخ واتَّجهنا إلى منزل الأستاذ عبدالله السَّدحان، وهنا حدثَ موقفٌ طريفٌ.. فقد جاء أحدُ قَرابة الشيخ من سُكَّان الجبيل وطلبَ مِنَ الشيخ أن يَتناولَ طعامَ العَشاءِ عندهُ وألحَّ في ذلك، فأُخبِرَ أنّ الأستاذَ عبدَالله السَّدحان هو المنسِّقُ للمحاضرة، وقد أَخبر الشيخَ أنّ العَشاءَ عندهُ ووافقَ الشيخُ، وبعد محاوَلاتٍ قنع أثابهُ الله تعالى.

وصلنا المنزلَ واستقبل الشيخَ مجموعةٌ من الإخوة... بعد استراحةٍ قصيرةٍ دُعِيَ الشيخُ إلى العَشاء، فقامَ وقامَ النَّاسُ.. جلسَ الشيخُ على صَحنِ العَشاء، وكنتُ على صحنٍ بجانبه، وبدأ الحاضرونَ في الأكل، واستمرَّ بعضُ مَن جَلَس على صحنِ الشيخ في توجيهِ الأسئلة، وكنتُ أنظُرُ

إلى الشيخ، ولو حلفتُ أنه لم يَرفَعْ يَدَهُ إلى فيهِ أكثرَ من أربع مرَّاتٍ أو خمسٍ أرجو أن لا أَحنَثَ.

فرغنا من العَشاء، ثمَّ عُدنا إلى المَجلس واستمرَّتِ الأسئلةُ إلى قُرابة السَّاعة الحادية عشرة.

ألمحَ بعضُ الإخوة إلى الحاضرينَ بترك الشيخ ليرتاح، فانفضُّوا وتركُوا الشيخَ ليرتاح.. بعد وقتٍ يسيرٍ دخَلَ الرَّجُل الذي ألحَّ في أن يكونَ العَشاءُ عنده، وألحَّ على الشيخ أن يُشَرِّفَ مَنزلَهُ، فقلتُ لهُ: إنَّ الشيخ قد أُجهِدَ فلعله يَرتاح، فألحَّ في طَلبه فأشار الشيخُ إليَّ وقال: نذهبُ إليه قليلًا لا يَضُرّ إن شاء الله.

ذهبنا إلى منزل الأخ، وجلسنا قُرابةَ نصف ساعةٍ، ثمَّ عُدنا إلى منزل الأخ عبدالله قرابةَ السَّاعة الثانية عشرة والنِّصف... هُيِّئ للشيخ مكانٌ خاصٌّ للنَّوم.

أيقظَنا الأخُ عبدالله لصلاة الفجر، فسألتُه عن الشيخ فقال: ذَهَبَ قبلَ أن آتيكم.. صلّينا الفجرَ ورجعتُ مباشرةً إلى المنزل فأيقظني الأخُ عبدالله السَّاعة السَّابعة والنِّصف، فلمَّا قُمتُ وأتيتُ المجلس لم أر الشيخَ، فأخبرني الأخُ عبدالله أنَّ الشيخَ في المسجد إمَّا يُقرَأُ عليه في كتابٍ أو هو جالسٌ مع مجموعةٍ مِنَ الطلّاب يَسألونه.

حضرَ الشيخُ قُرابةَ الثامنة.. وبعد تناوُل القهوة والإفطار جلس مع ثُلّةٍ مِنَ الإخوة مجلسًا علميًّا.

عند السَّاعة التاسعة اتّصل أحدُهم من القاعدة البحرية في الجبيل

بالأخ عبدالله بشأن موعده مع الشيخ، فقام الشيخُ مِن فَوره وذهبنا إلى القاعدة، ووصلناها قُرابةَ السَّاعة التاسعة والنِّصف.. استقبلَ الشيخُ ثلةً من الضُّبَّاط، وتعذَّرَ كبيرُهم بأنّ الجنود قد نزلوا إلى السُّفُن وأنّ مَوعدهُم كان في السَّاعة التاسعة، وبعد استراحةِ قُرابة نصف ساعةٍ طَلَب كبيرُهم من الشيخ أن يَنزِلَ معه إلى السَّفينة ليُلقِيَ كلمةً على بعض الجنود، وأَذكُر أنّ أحَدَ الضبَّاط احتفى بالشيخ احتفاءً عجيبًا معه المحبَّةُ الصَّادقة.

نزلنا مع الشيخ إلى السَّفينة.. وجلس الشيخُ ومعه مُكبِّرُ صوتٍ يدويّ قد أمسكهُ بيده، وشرعَ يُلقي كلمةً فيها نُصح وتوجيهٌ، وبدا الإرهاقُ على الشيخ، وبعدها جلسَ يتحدَّثُ مع بعض مسؤولي السَّفينة.. بعدها خرجنا من السفينة واتجهنا إلى إدارة القاعدة وأذان الظهر يُرفَع. قلتُ للشيخ: نُصلِّي الظهر ثمَّ نتَّجهُ إلى المكان المُعَدِّ لإقامة الغداء في الهيئة الملكية.

صلينا الظُّهر وبعدما سَلَّم الإمامُ مباشرةً وقبل شُرُوعه في أذكار الصَّلاةِ أعلنَ ـ باجتهادٍ منه ـ لجماعة المصلِّينَ أنَّ الشيخَ ابنَ جبرين في المسجد وسيَجلِسُ لاستقبال الرَّاغِبينَ! فجلسَ الشيخُ وتوافَدَ عليه بعضُ المصلِّينَ... بعد قُرابة السَّاعة خرجنا من المسجد واتّجهنا إلى الهيئة الملكية.. دخلنا المكانَ المُعَدَّ للإقامة، وفي صالة الطعام جلس الشيخ.. وقبل تناوُل طعام الغداء جلس الشيخ ومعه إخوةٌ يسألونه.

وبعد تناوُل طعام الغداءِ قال الشيخُ: سنقيل قليلًا ـ أو كلمةً بمعناها ـ والله لقد فرحتُ بها وبخاصَّةٍ أنه هو الذي قالها.. فألمحتُ لِأَحَد الإخوة المسؤولينَ في الهيئة فقال: هناك غُرفتانِ للنَّوم، واحدةٌ للشيخ والأخرى

لمرافقي الشيخ، فلمَّا قامَ الشيخ إلى غُرفته مَشَى معه شابٌّ وقال ـ وأنا أسمع ـ: يا شيخ، عندي موضوعٌ شخصيٌّ أَرغبُ في عَرضِه عليك.. فقَبِلَ الشيخُ برَحابةِ صدرٍ ودعاهُ إلى الدُّخُول معه في الغُرفة، ودخلنا نحنُ البقية في الغرفة الأخرى.

قمنا مع أذان العصر، وخرجَ الشيخُ ومعه ذلك الأخُ بعدَ الأذان! وبعد الصَّلاة طَلَبَ الإمامُ مِنَ الشيخ كلمةً، فألقى الشيخ كلمةً، ثمَّ اتّجهنا نحوَ مدينة الدَّمَّام؛ لأنّ للشيخ مُحاضرةً هناك... وصلنا الدَّمام...

استأذنتُ الشيخَ في زيارةٍ لأخ فاضل زميل لي في كُلِّية الشَّريعة، وهو الأستاذ عبدالكريم الأحمد، فأذن لي الشيخ، وقلتُ له: بعد المحاضرة سأكونُ عند محراب المسجد الذي فيه المحاضرة.. صلّيت العِشاءَ في المسجد المجاوِر لمنزل الشيخ عبدالكريم الأحمد، وتأخَّرتُ بعد الصلاة؛ كنتُ أعلمُ أنّ الشيخَ مَدعوٌّ إلى العَشاء عند الشيخ الشنفري، وقد حصلتُ على هاتفه قبل مُفارَقَةِ الشيخ.. اتَّصلتُ بالشيخ الشنفري ووَصَف لي مكان البيت.. ثمَّ أخبرني بنوع مِنَ اللَّوم لطيفٍ أنَّ الشيخَ انتظرَ مُدَّةً عند المحراب حسب وعدك واجتمع النَّاسُ حوله، ونظرًا لزحام السَّيَّارات طلبَ رجُلُ المرور مِن مُرافِقي الشيخ أن يُكلِّموهُ أن يتكرَّم بالتحرُّك بسيارته من أمام المسجد ليَخِفَّ الزِّحام.. ولله دَرُّ الشيخ في وفائه بالوعد بالانتظار عند المحراب... فنِعْمَ ما فَعَلَ وبئسَ ما فعلتُ.

في منزل الشيخ الشنفري حضرَ جمعٌ من الإخوة.. وبعد مناقشاتٍ في مسائلَ علميةٍ أذكُر منها مسألة «المجاز في القرآن».. طلب الشيخُ الشنفري

من الشيخ عبدالله أن يتفضَّل لطعام العشاء.. بعد الفراغ من العَشاء والعودة إلى المجلس كان هناك ثلاثةُ أطباء أو أربعةٌ من مستشفى الملك فهد رَحِمَهُ اللهُ معهم بحثٌ عن أطفال الأنابيب، وطلبوا من الشيخ أن يَعرِضُوا عليه بعضَ ما أَشْكَلَ عليهم... وافق الشيخُ، ولمّا استمرَّ البحثُ معهُم قُمنا مُرافقو الشيخ ودخلنا في المكان المُعَدّ للنَّوم.. بعد وقتٍ دَخَل الشيخُ وكان معهُ دواءٌ يستعملُه لعارضٍ في حَلقه. قُمنا لصلاةِ الفجر... ثمَّ بعد الصَّلاة حَضَر جمعٌ ومنهم ذلك الضابطُ الذي سَبَقَ أن ذكرتُه عندما احتفى بالشيخ احتفاءً عجيبًا.. تناولنا الإفطار.. فلمَّا حانَ وقتُ الضُّحَى ذهبنا إلى المطار.. قبل الرُّكوب في السَّيَّارة المتَّجِهة إلى المطار جاء إليَّ ذلك الضابطُ وأخبرني أنه يَطلُب أن نَسمحَ لهُ بأن يكونَ الشيخُ معهُ في الدَّرَجة الأولى، وأنه سيُرافِقُ الشيخَ بعد الوُصول إلى الرِّياض إلى القويعية، وأخبرني أنَّ الشيخَ رفيقٌ لوالده وأنَّ والدَ الشيخ كان رفيقًا لوالده، وأظنُّ أنه من قبيلةِ عُتَيبةَ.

** ** **

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
❋ من وصايا العلماء لطلبة العلم	٧
❋ صور لهمة السلف في طلب العلم	٢٩
صور لهمة السلف في طلب العلم	٣١
صور لهمة سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله	٦٧
صور لهمة الإمام الألباني رحمه الله	٧١
صور لهمة الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله	٨٣
الفهرس	٨٩

❋❋ ❋❋ ❋❋